

البيا شتودة الثاثة

ثمر الروح

THE FRUIT OF THE SPIRIT
By H.H. Pope Shenouda

Ist Print
Nov. ١٩٩٦
Cairo

الطبعة الأولى
نوفمبر ١٩٩٦
القاهرة

الكتاب: ثمر الروم

المؤلف: قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

الناشر: الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية - القاهرة •

الطبعة: الأولى نوفمبر ١٩٩٦

المطبعة الأنبا رويس الأوفست - العباسية - القاهرة •

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٦/١١١٠٦

٢ - ٣٣ - ٥٣٤٥ - ٩٧٧ - I.S.B.N.

مقدمة

لا بد للروح أن يكون لها ثمر في الإنسان ، لأن السيد الرب يقول " من ثمارهم تعرفونهم " (مت ٨ : ٢٠) و أيضاً :

كل شجرة لا تصنع ثمرًا ، تقطع و تلقى في النار " (مت ٧ : ١٩) •

و الثمر الجيد هو ثمر الروح ، و ليس ثمر الجسد •

و الروح الإنسانية التى تصنع ثمرأ ، هى التى تشترك مع الله فى العمل ، و تدخل فى " شركة الروح القدس " (٢كو ١٣ : ٤) . و إن اشتركت روح الإنسان مع الروح القدس ، سوف تستطيع أن تشترك الجسد معها و تقوده فى العمل الروحى .

إذن ثمر الروح ، هو ثمر الروح التى قادت الجسد ، و صارت هى و هو تحت قيادة الروح القدس

ذلك " لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أبناء الله " (رو ٨ : ١٤) .
فهل المقصود بثمر الروح ، هو ثمر الروح الإنسانية ، أم ثمر الروح القدس . الإجابة هى شركة الروح القدس مع الروح الإنسانية . ذلك لأن الروح الإنسانية . وحدها لا تستطيع وحدها أن تعمل شيئاً بدون شركة روح الله معها . الإنسان هو هيكل لروح الله ، وروح الله ساكن فيه (١كو ٣ : ١٦) (١كو ٦ : ١٩) .

روح الله ساكن فى الإنسان و يعمل . و لكن يلزم إستجابة الإنسان لعمل الروح فيه

وذلك بأن يشترك مع روح الله فى العمل

و هنا يأتى ثمر الروح نتيجة لهذه الشركة . . ذلك لأن الله لا يرغب الإنسان على عمل الخير ، بل لآبد أن يعمل به باراته . . و الإ فقد العمل قيمته . و لم تعد له مكافأة .
و قد شرح الرسول ثمر الروح فقال :

وأما ثمر الروح فهو : محبة فرم سلام ، طول أناة لطف صلام ، إيمان وداعة تعفف " (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣)

و نحن نود فى هذا الكتاب أن نحدثك عن هذا كله ، فى إيجاز و تركيز . لأن كل واحدة من هذه الثمار التسع ، قد تحتاج إلى كتاب خاص . و قد اصدرنا لك كتاباً عن المحبة ، و آخر عن الإيمان و كان بوى أن أصدر لك كتاباً عن الوداعة .

و لكن رغبة فى تجميع الأفكار و عدم تشتتها ، نشرنا لك هذه الكتاب عن ثمر الروح كله معاً .
و نلاحظ أن كل ثمرة يمكن أن تتعلق بغيرها من الثمار . لأن الحياة الروحية مرتبطة ببعضها البعض فى كل التفاصيل .

أتركك الآن أيها القارئ العزيز لكى تتأمل فى ثمار الروح ، ولكى تجعلها جميعاً ثمرأ لحياتك مع الله و لعمل الروح فيك .

وليكن الله معك ، يعينك فى كل ما تفعله .

٣١ أكتوبر ١٩٩٦

عيد القديس الأنبا رويس

البابا شنودة الثالث



من ثمر الروح

-1-

المحبة

أود أن أبدأ معكم سلسلة جديدة عن " ثمار الروح) . هذه التي شرحها الوحي الإلهي على لسان بولس الرسول قائلاً : " و أما ثمر الروح فهو : محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة لطف ، صلاح ، وداعة ، تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس " (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . و يبدو واضحاً من هذه الآية أن المحبة هي أولى ثمار الروح . فلنتأمل إذن فضيلة المحبة أولى ثمار الروح : المفروض في الإنسان أن يكون هيكلًا للروح القدس ، و يكون روح الله ساكناً فيه . و لقد أرسل لنا السيد المسيح الروح القدس ، لكي يسكن فينا إلى الأبد ، و لكي يعمل فينا و يعمل بنا و يكون لعمله فينا و يعمل بنا و يكون لعمله فينا ثمار ، هي ثمار الروح (١ كو ٣ : ١٦) (يو ١٤ : ١٦ ، ١٧)

و فى مقدمة ثمار الروح : المحبة و الفرح و السلام • و لنبدأ بفضيلة المحبة و علاقتها بالفرح و السلام •

ألهم ما أريد أن أكلمكم عنه فى المحبة ، هو محبة الله ، و محبة الخير • و كل منهما تؤدى إلى الأخرى

محبة الله توصل إلى محبة الخير و الفضيلة • و محبة الخير و الفضيلة توصل إلى محبة الله • و كل منهما تقوى الأخرى •

إذا أحب إنسان الخير ، لا يكون له صراع مع الشر

كثير من الناس يضيعون حياتهم فى الصراع مع الخطية أو فى مقاومة الشيطان ، لكى يصلوا بهذا إلى حياة التوبة • و حياة التوبة هى البعد عن الخطية التى يحبونها •

أما الإنسان الذى يحب الخير ، فقد أرتفع فوق مستوى التوبة ، و فوق مستوى الصراع مع الخطية • عبارة الجسد يشتهى ضد الروح ، و الروح يشتهى ضد الجسد " ، هى عبارة خاصة بالمبتدئين ، الذين يجاهدون ضد الجسد غير الخاضع للروح • أما الجسد النقى ، البار ، الذى يحب الخير ، فهو لا تشتهى ضد الروح • (غل ٥ : ١٧) •

الإنسان الذى يحب الخير ، لا يجاهد للوصول إلى التوبة ، إنما كل جهاده هو للنمو فى محبة الله و محبة الخير •

إنه جهاد إيجابى ، و ليس جهاداً سلبياً • • إنه أنتقال من درجة فى القداسة إل درجة أعلى منها •

إنه جهاد لذيذ بلا تعب ••

إنما يتعب فى جهاده ، الإنسان الذى يقاوم نفسه ، نفسه التى لا تحب الفضيلة ، بل تحب الظلمة أكثر من النور " (يو ٣ : ١٩) • أما الذى يحب الخير ، فقد دخل إلى راحة الرب ، دخل إلى سبته الذى لا ينتهى ، يتدرج فيه من خير إلى خير أكبر ، بلا تعب ، بلا غضب

إن فضيلة " التغصب " ليست للقديسين يحبون الخير ، فالذين يحبون الخير ، لا يغصبون أنفسهم عليه ، بل يفعلونه تلقائياً ، بلا مجهود •

الذى يحب الخير ، لا يرى وصية الله ثقيلة ، بل يحب ناموس الرب " فى ناموس الرب مسرته ، و فى ناموسه يلهم نهاراً و ليلاً " •

صدق يوحنا الرسول عندما قال " ووصاياه ليست ثقيلة " (١ يو ٥ : ٣) • إننا نشعر أن وصايا الرب ليست ثقيلة ، حينما نحباها ، و نتعنى بها و نقول " وصية الرب مضيئة تنير العينين ، فرائض الرب مستقيمة ، تفرح القلب " (مز ١٨) •

إن الذى يحب الرب و يحب الفضيلة ، قد ارتفع فوق مطالب الناموس ، و دخل فى الحب • إنه يفعل

الخير ، بلا وصية ، بل بطبيعته الخيرة • ليس هو محتاجاً إلى وصية تدعوه إلى الخير •

إنه يفعل الخير ، لأن الخير من مكوناته ، كصورة الله • يفعل الخير كشئ عادى ، طبيعى ، كالنفس الذى يتنفسه ، دون أن يشعر فى داخله أنه يفعل شيئاً زائداً أو عجيباً

ولهذا فإنه لا يفتخر ، إذ أنه فى نظره شئ طبيعى ••

أما الذى لا يحب الخير ، فإن وصية الله ثقيلة عليه • لذلك فكثيراً ما تكون بينه و بين الله عداوة !! يشعر أن الله يسلبه لذته (الميلالة إلى الخطية) • و يشعر أن وصية الله تقيدته ، و تحاول أن تسيره فى طريق لا يريد لها • • و هكذا يرى أن طريق الله صعب ، و أنه لا يسير فيه إلا مضطراً •

من هذا النوع الذى لا يحب الخير ، الإنسان الوجودى الملحد ، الذى يرى أن وجود الله ، عائق ضد

وجوده هو ..

أى أنه لا يشعر بوجوده إذا آمن بوجود الله ، و لذلك يقول " الأفضل أن الله لا يوجد ، لكى أوجد أنا" كل ذلك لأنه لا يحب الخير . و عدم محبته للخير أوصلته إلى عدم محبة الله . لهذا فإن الأبن الضال ، عندما أراد أن يتمتع بحريته و شخصيته ، ترك بيت أبيه ! (لو ١٥ : ١٣)

أما الإنسان الذى يحب الخير ، فليست بينه و بين الله عداوة . لأنه يوجد اتفاق بين مشيئته و

مشيئة الله .

إنه يحب الله ، و يجد فيه مثالياته العليا ، و يحب فيه الخير الذى يشتهيهِ . و يصبح الله شهوته ، و هو لذته .

الإنسان الذى يحب الخير يعيش فى فرح دائم و فى سلام ..

و كما يقول الكتاب " افرحوا فى الرب كل حين ، و أقول أيضاً افرحوا " . إنه يفرح بالرب ، لأنه يجد لذته فى المعيشة معه ، و يجد أن مشيئة الله هى مشيئته ، و أن مشيئته هى مشيئة الله .

متى إذن يبدأ فى أن يفقد محبة الله و محبة الخير ؟

لما يبدأ فى معرفة الشر ، و فى مذاقته ، و فى الإلتذاذ به .

و هذه هى التجربة التى أوقع فيها الشيطان الإنسان الأول . كان آدم و حواء لا يعرفان إلا الخير ، فأدخلهما فى معرفة الخير و الشر . أى أضيفت إلى معرفتها للخير ، معرفة الشر (تك ٣ : ٥) بدأ الإنسان يختبر الشر ، و تكون بينه و بين الشر علاقة و عاطفة .

هناك أشياء من الخير للإنسان ألا يختبرها . و عن هذه قال الكتاب " الذى يزداد علماً يزداد غمّاً ط

(جا ١ : ١٨)

قال الشيطان لحواء " يوم تأكلان تنفتح أعينكما " . و كان خيراً لهما ألا تنفتح أعينهما على ذاك اللون من المعرفة .

يا ليت أن الإنسان لا يعرف سوى الخير ، حينئذ يعيش سعيداً . يعيش فى محبة للناس ، لأنه لا يعرف إلا الخير الذى فيهم ، و ليس غيره

سيأتى وقت ، فى الأبدية السعيدة ، حينما نتقياً ثمرة معرفة الخير و الشر ، ولا نعود نعرف

سوى الخير فقط ، و ننسى معرفة الشر .

سيمحو الله من ذاكرتنا كل الشر الذى رأيناه تحت الشمس ، و لا يبقى فينا سوى الخير وحده ، نعرفه ، و نتأمله ، و نختبره ، و نذوقه ، فنزداد حباً له . و نمارسه بالحب .

نحن لا نفعل الخير مضطرين ، و لا مأمورين ، و لا متغصبين ، و إنما نفعل الخير حباً فى الخير .

تأكد أنه عندما يزن الله أعمالك فى الأبدية ، ليرى ما فيها من خير ، سيزن الحب الذى فيها ، و لا

يأخذ الله من أعمالك سوى الحب فقط ، و لا يكافئك إلا على ما فيها من حب .

كيف يطبق هذا المبدأ فى حياتنا و فى أعمالنا ؟ خذ الخدمة كمثال : إنها ليست مجرد نشاط أو تعب أو عظات ، إنما : أنت تخدم و أنت تحب الناس ، و تحب خلاصهم ، و تحب بنيان الكنيسة و الملكوت ؟ و تحب الله الذى يحبهم ، و الذى تريد أن يحبوه . . . تأكد أن الله سوف لا يأخذ من خدمتك سوى الحب . . .

و هكذا ينجم فى الخدمة ، من يراها حباً . حب الله و الناس يقوده إلى خدمتهم . و كلما يخدمهم

يزداد حباً لهم ، فيزداد خدمة لهم . و نفس الوضع نراه فى الصدقة ..

إنها ليست مجرد طاعة لوصية ، فالكتاب يقول " المعطى المسرور يحبة الرب " . ليس مالك الذى تعطيه هو الذى يحسب لك عند الله ، وإنما الحب ، الحب الذى يرتفع فوق مستوى العشور و البكور و النذور ، و فوق مستوى الأرقام ، و يعطى بسخاء و لا يعبر .
أولى ثمار الروح القدس هى المحبة . لذلك عندما عاتب الرب ملاك كنيسة أفسس ، و دعاه إلى التوبة ، لخص عتابه كله فى عبارة واحدة ، لم يذكر فيها خطية معينة ، إنما قال : " عندى عليك **أنك**

تركت محبتك الأولى " (رؤ ٢ : ٤)

من أجل هذه المحبة قال الرب " يا ابنى أعطنى قلبك " . و إن أعطيتنى هذا القلب ، فحينئذ " ستلاحظ عينك طرقى " فتكون إطاعة الوصايا هى نتيجة طبيعة للمحبة (أم ٢٣ : ٢٦) .

كثير من الناس سلكوا فى حياة التوبة من الخارج ، و لم يسلكوا فى الحب الذى من

الداخل ، فأصبحت بينهم و بين الله علاقات و ممارسات و طقوس ، و ليس بينهم و بينه حب ، ففشلت حياتهم .

لما سئل السيد المسيح " أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ " . أجاب إنها المحبة يشترطها : تحب الرب إلهك من كل قلبك . و تحب قريبك كنفسك . بهذه المحبة يتعلق الناموس كله و الأنبياء (مت ٢٢ : ٢٦ - ٤٠) .

كثيرون سيقولون له فى اليوم الأخير " يا رب بإسمك تنبأنا ، و بإسمك أخرجنا شياطين " (

مت ٧) و لكنه سيترك كل هذا و يسأله عن الحب الذى فيهم .

إنها ليست مسألة معجزات و مواهب ، فما أكثر الذين هلكوا على الرغم من مواهبهم . لذلك فإن الرسول بعد أن تحدث عن المواهب الروحية ، قال " أريكم طريقاً أفضل " . و تحدث عن المحبة (١ كو ١٣) .

و بمقدار محبتنا لله سيكون فرحنا به فى الأبدية ، و ستكون سعادتنا .

نجم سيمتاز عن نجم فى الرفعة ، و هذه الرفعة ستحددها المحبة . و إذا أحببت الله سوف لا تخاف ، أن المحبة تطرح الخوف إلى خارج . إذا أحببت سوف لا تخاف الله ، و لا تخاف الخطية ، و لا تخاف الناس ، و لا تخاف الموت .

بالحب يعيش الإنسان فى فرح دائم ، يفرح بالرب الذى يقوده فى موكب نصرته ، من خير إلى خير

، و يفرح لثمنه بالرب ، لأن الخطية لا مكان لها فى قلبه و لا مكانة .

حقاً قد تحدث له حروب و مقاومات من الشيطان ، و لكنها ضيقات من الخارج فقط ، و أما فى الداخل فيملك عليه . و هكذا يجتمع فى قلبه المحبة و الفرح و السلام .

أريدكم أن تدربوا أنفسكم على هذا الحب ، أخرجوا من مظاهر الحياة الروحية ، و ادخلوا إلى عمق

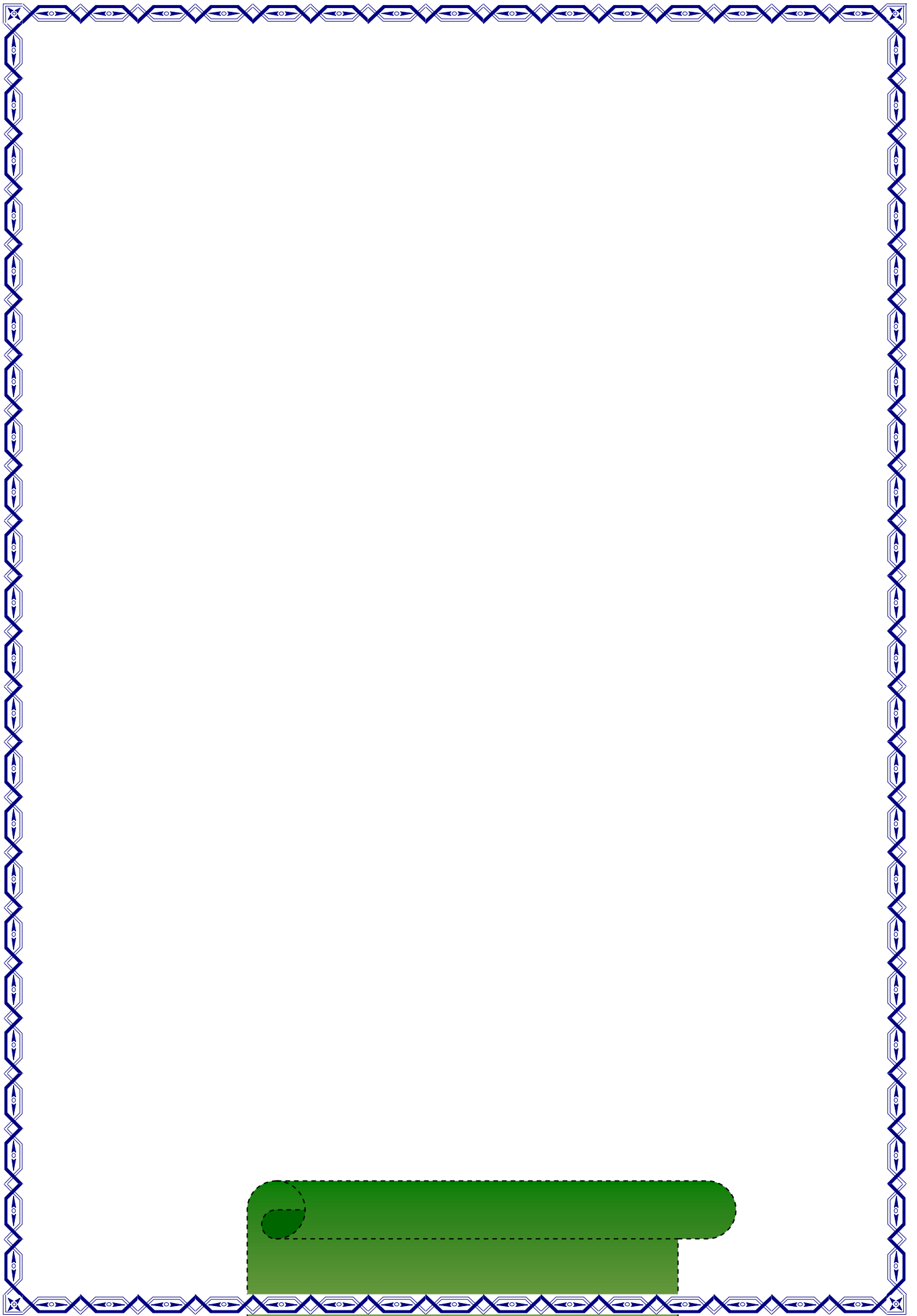
الحب . و المحبة لن تسقط أبداً .

لقد أذكر بطرس معلمه ، و سب و لعن و قال : لا أعرف هذا الرجل . و لكن الرب لم يسأله سوى سؤال واحد " أتحنى ؟ " . و أجاب بطرس :

أنت تعلم يا رب كل شئ . أنت تعلم أى أحبك " (يو ٢١ : ١٥ - ١٧)

و بهذه المحبة نال الغفران ، ورجع إلى رتبته الرسولية .

لست أود استرسل معكم كثيراً عن المحبة ، فقد أصدرت لكم كتاباً كبيراً بعنوان (المحبة قمة الفضائل)



من ثمر الروح

(2) الفرح

خلق الله الإنسان منذ البدء للفرح •

و لذلك وضعه في جنة هي حنة عدن (تك ٢) • و أحاطه بكل وسائل الراحة • و من أجله خلق كل شئ : السماء و الأنوار ، و الأنهار و الثمار و الأزهار و في الأبدية يعد له أفراحاً أخرى لا يعبر عنها : " ما لم تره عين ، و لم تسمع به أذن ، و لم يخطر على قلب بشر " (١ كو ٢ : ٩) • بل بالموت مباشرة ينقله الرب إلى فردوس النعيم ، حيث فرح العشرة مع الرب و الملائكة و أرواح القديسين •

بل و في هذه الحياة الدنيا ، أوجد الرب للإنسان ألواناً من الفرح

فجعل له يوماً فى الأسبوع بستيرج فيه و يفرح . و منذ العهد القديم أعد الله للإنسان أعياداً مقدسة يفرح فيها (لا ٢٣) ، مع أعياد أخرى فى العهد الجديد . و أعطاه أيضاً أن يفرح بكل تعبته الذى يتعبه تحت الشمس (جا ٥ : ١٨) .

و هنا نبدى ملاحظة ، و هى الفرق بين اللذة و الفرح .

اللذة خاصة بالجسد و حواسه . أما الفرح الحقيقي فهو خاص بالروح . إنسان يتلذذ بالطعام و الشراب ، إنها لذة الجسد . و إنسان آخر يلتذ بالمناظر ، و يشبع عينيه من أى منظر جميل . إنها أيضاً لذة تختص بحواس الجسد . و ثالث يلتذ بالسمع و الموسيقى ، إنها لذة الحواس . و لكن تشترك هنا الروح إن كان ما يسمعه أحياناً روحية ، أو كلمات روحية تشبع روحه . و حينما نتكلم عن الفرح ، إنما نتكلم عن فرح الروح . **لأن هناك فرحاً نفسانياً ، و هو فرح باطل .**

فرح باطل

مثال ذلك الذى يفرح بسقطة عدوه أو بليته ، و هذه خطيئة خاصة بالنفس ، قال عنها سليمان الحكيم " لا تفرح بسقوط عدوك " (أم ٢٤ : ١١) . إنه فرح آثم ، لأنه نوع من الشماتة و هو ضد المحبة ، حسبما قال الرسول " المحبة لا تفرح بالإثم " (١ كو ١٣ : ٦) **من الفرح**

الباطل ايضاً : الفرح الممزوج بالكبرياء ، بالذات .

مثلاً رجع التلاميذ السبعون فرحين يقولون للرب " حتى الشياطين تخضع لنا باسمك . فويخهم على ذلك بقوله " لا تفرحوا بهذا . بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى ملكوت السموات " (لو ١٠ : ٧ - ٢٠) . مثال ذلك الذين يفرحون أيضاً بالتكلم بالسنة !! إنه أيضاً فرح ممزوج بالذات و عظمتها و مواهبها ، و ليس بملكوت الله .

هناك إنسان يفرح بالخطية !!

هذا الفرح هو خطيئة أخرى تضاف إلى خطيته . إنه يذكرنا بأولئك الذين قال عنهم الرسول " الذين مجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات " (فى ٣ : ١٩) .

نوع آخر هو الذين يفرحون بأمور نافهة مادية .

مثال الأبى الكبير الذى لم يفرح بعودة أخية الضال ، و لام أباه قانلاً " وقط لم تعطنى جيداً ، لأفرح مع أصدقائى " (لو ١٥ : ١٩) !! هذا الذى يفرحه جدى ، لا شك أن مستواه الروحى ضعيف ، ورغباته أرضية .

هذا اللون من الفرح جربه سليمان الحكيم حينما قال . و مهما اشتتهه عيناي ، لم أمنعه عنها " ووجد بعد ذلك أن كل ذلك باطل و قبض الريح هو ط . (جا ١٠ : ١١) . و لذلك قال عن مثل هذا الفرح " و عاقبة الفرح حزن " (أم ١٤ : ١٣) . و قال أيضاً " قلب الجهال فى بيت الفرح " يقصد الفرح الباطل (جا ٧ : ٤) . و قال الحماسة فرح لناقص الفهم " (أم ١٥ : ٢١) . إنه الفرح العالمى ، الخاص بالحواس و بالجسد ، أو الفرح النفسانى غير الروحانى ، إذن ما هو الروحانى ؟

الفرح الروحى

١- هو بالرب . فرح الوجود فى حضرة الرب ، و فى عشرته . أو فرح الالتقاء بالرب . كما قيل عن التلاميذ إنهم فرحوا لما رأوا الرب (يو ٢٠ : ٢٠) . و تحقق بهذا وعده لهم " و لكنى أراكم ففرح

قلوبكم . و لا ينزع أحد فرحكم منكم " (يو ١٦ : ٢٢) . هذا الفرح الذى قال عنه القديس بولس الرسول : **افرحوا بالرب كل حين ، و أقول أيضاً افرحوا " (فى ٤ : ٤)** .

إنه فرح بالرب ، و فرح فى الرب ، كل حين . شاعرين بوجوده معنا ، كما كان التلاميذ فرحين بالرب معهم " يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله " (أع ١ : ٣) .
فهل أنت تفرح بوجود الله فى حياتك ، أو فى حياة غيرك ؟
اسأل نفسك كل يوم : هل فرحك بالرب ، أم له أسباب أخرى ؟
٢- فى تسبحة العذراء ، نجد هذا الفرح الروحى بالرب ، إذ تقول :

تعظم نفسى الرب ، و تبتتهج روحى بالله مخلصى (لو ١ : ٤٧)

إنها تبتتهج بالله و خلاصه . فهل أنت أيضاً تفرح بالخلاص و بالفداء ، بالكفارة التى قدمها المسيح لأجلك . إن الكنيسة تذكرنا بهذا الخلاص كل يوم فى صلاة الساعة السادسة ، لكى نفرح به . نبتتهج بهذه الكفارة التى حملت جميع خطايانا و مسحها بالدم . الكريم . و اشتراً الرب بدمه ، فصرنا له . صولحنا معه .

٣-هناك فرح روحى آخر ، و هو الفرح بالتوبة و التخلص من الخطية .

فرح بالتخلص من خطية متكررة ، أو عادة مسيطرة . فرح إنسان أمكنه أن يعترف ، و أن ينال المغفرة . مثاله فرح الابن الضال بعودته إلى بيت أبيه (لو ١٥) .
يقول داود النبى فى مزمور التوبة " اسمعنى سرور و فرحاً فتبتتهج عظامى المنسحقة " " أردد لى بهجة خلاصك " (مز ٥٠)
حقاً كم يكون فرح إنسان حينما يتخلص من عادة كانت مسيطرة عليه ، أو من خطية كان يضعف أمامها و تتكرر فى كل اعتراف . ما أكثر فرح إنسان تخلص من الإدمان مثلاً ، أو من سيطرة الأفكار الشريرة أو الأحلام النجسة .

٤-و ما أعظم الإنتصار على النفس .

كما يقول الحكيم " مالك نفسه خير ممن يملك مدينة " (أم ١٦ : ٣٢) . إن الإنتصار على النفس أعمق بكثير من الإنتصار على الآخرين ، لن به يتحرر الإنسان من الداخلى . إن الذى ينتقم لا يفرح مثل الذى يستطيع أن يضبط نفسه و يحتمل . لذلك فرح داود النبى لما منعه أيبجايل الحكيمة عن أتيان الدماء و الانتقام لنفسه (اصم ٢٥ : ٣٢ ، ٣٣) .

٥-و هناك فرح برجوع الخطاة .

و هو ليس فقط فرحاً على الأرض ، إنما فى السماء أيضاً " لأنه يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب " (لو ١٥ : ٧) . و لعنا نرى فى قصة رجوع الابن الضال ، أن الأب قد قال : ينبغى أن نفرح و نسر ، لأن أبني هذا كان ميتاً فعاش ، و كان ضالاً فوجد (لو ١٥ : ٥ ، ٦) . هكذا فعلت المرأة التى وجدت درهمها المفقود . فرح لكل الأصدقاء .

ما أعظم الفرح بالبحث عن الخطاة و ردهم

هناك أشخاص عملهم هو هذا . كما قال القديس بولس الرسول " و أعطانا خدمة المصالحة . و اضعاً فيناً كلمة المصالح . إذن نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله " (٢ كو ٥ : ١٨ - ٢٠)
نفرح كلما نجد إنساناً قد اصططح مع الله . إذن الخدمة بالإضافة إلى مكافاتها فى السماء ، لها فرح أيضاً على الأرض . و كما يقول الكتاب " من رد خاطئاً عن ضلال طريقته ، يخلص نفساً من الموت ، و يستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ٢٠) .
ما أعمق فرح الذى يخلص نفساً من الموت . الفرح بإنسان ارتد عن الإيمان و أعدته . أو الفرح بإنسانة سقطت وضاعت ثم رجعت مرة أخرى .

٦-إن كل عمل خير نعمله ، له فرحته :

فى الأرض و فى السماء • تفرح حينما تنقذ إنساناً مسكيناً ، أو تفرح قلب عائلة فقيرة ، أو تريح إنساناً من تعبهِ • تشعر بفرح داخلى ، لأنك أفرحت قلوباً منكسرة ، أو أنصفت شخصاً مظلوماً • بل تشعر بهذا الفرح حتى من جهة غير البشر ، كما قال أحد الأدباء سقيت شجيرة كوب ماء • فلم تقدم لى عبارة شكر واحدة • ولكنها انتعشت ، فانتعشت " •
الأم تشعر بفرح ، حينما تفرح ، حينما تفرح أبناها • و تفرح حينما تشبع رضيعها ، و تفرح بنجاح أبناها فى حياتهم ••

• هذا هو الفرح بإسعاد الآخرين •

إن الذى يدفع العصور و هو متضرر ، لا يشعر بهذا الفرح • و قد يدفع ، و لكن ماله لا يصل إلى الله لأن " المعطى المسرور يحبة الله " (٢ كو ٩ : ٧) ، أى أنه يعطى ، و فى قلبه فرح بهذا العطاء ••
ليتك تختبر فرح العطاء ••
و العطاء الروحى له فرح أيضاً نجده فى فرح الآباء و المرشدين •

٧- فرح الآباء و المرشدين الروحيين :

أن القديس يوحنا الحبيب يقول فى رسالته إلى غايس " أيها الحبيب فى كل شئ أروم أن تكون ناجحاً و صحيحاً ، كما أن نفسك ناجحة •• ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق " (٣ يو ٢ ، ٤) •• إن هذا جزء من افراح الخدمة و الرعاية •• **ولذلك يقول القديس الرسول** " طيعوا مرشديكم و اخضعوا ، أنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً • لى يفعلوا ذلك بفرح - غير أنين - لأن هذا غير نافع لكم " (عب ١٣ : ١٧) •

بفرح المرشد الروحى بنجاح أولاده روحياً • بفرح من أجلهم ، و ايضاً من أجل نفسه ، من أجل أدائه

لرسالته التى أنت بنتيجة ••

أما الابن الذى لا يطيع ، أو يدخل فى مجادلات عقيمة مع مرشده و لا ينفذ ، فإنه يسبب لهذا الأب و المرشد ألماً • إن الذى يطيع و يقبل الكلمة ، و يأتى بثمر ، يذكرنا بقصة الخصى الحبشى الذى استمع لفيلبس و آمن و اعتمد " و مضى فى طريقة فرحاً " (أع ٨ : ٣٩) •
ليتنا نفرح بأفراح الناس ، و لا ننسى مجاملاتهم فى أفراحهم ، و بمشاركة قلبية فى ذلك الفرح • إن الطفل يشعر بفرح كبير حينما يجد مجموعة كبيرة حوله تفرح بعيد ميلاده ، و تغنى له أنشودة و كذلك الكبار أيضاً يفرحون بمن يهنئهم فى مناسباتهم المبهجة •

• يذكرنا هذا بذبيحة السلامة •

كان يأكل منها مقدمها و أحباؤه ايضاً ، و هو فرح بعمل الرب معه و يقر بها لأجل الشكر (لا ٧ : ١٢ ، ١٩) • و يذكرنى هذا بالذين كانوا يخبزون (فطير الملاك) و يوزعونه ، يأكل منه أصدقاؤهم فرحين معهم بمعجزة أجراها الملاك معهم •• إن الفرح بفرح الآخرين يشعروا أننا كلنا أسرة واحدة •

١١- درجة عالية من الفرح ، أن نفرح بالتجارب واثقين من بركاتها و أكاليها •

كما قال القديس يعقوب الرسول " احسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة " (يع ١ : ٢) •

لسنا فقط نحتملها ، إنما أيضاً نفرح بها ، نفرح بالصليب ، و بالباب الضيق ، و بكل الآلام و الآلام و الاضطهادات • نفرح بالرب " و شركة آلامه " (فى ٣ : ١٠) • واثقين أننا " إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد معه أيضاً " (رو ٨ : ١٧) • و بالآيمان نرى أن " كل الأشياء تعمل معاً للخير " (رو ٨ : ٢٨) • لا ننظر إلى الألم الموجود ، إنما ننظر فى رجاء إلى عمل الرب المقبل • لذلك قال الرسول :

١٢- " فرحين فى الرجاء " (رو ١٢ : ١٢) •

الرجاء يعطى أملاً في مستقبل مشرق . و هذا الأمل مصدره الإيمان بتدخل الله و عمله . و نتيجة ذلك يفرح القلب . كما يقول المزمور: " ليفرح بك جميع المتكلمين عليك " (مز ٥ : ١١) " لأن المتكل على الرب لا نخزى " . إنه شاعر بفرح ، لأن الرب لا بد سيفرحه .



إن أولاد الله يعيشون دائماً في فرح

لأن الفرح هو من ثمر الروم

يقول الرسول " ثمر الروح محبة فرح سلام . . " (غل ٥ : ٢٢) . فالإنسان الروحي لمحبه الله ، و محبة الله له ، يشعر بفرح . أيا كانت الأمور ، لابد أن الرب سيعمل و نفرح بعمله . بل أن الرب فعلاً يعمل ، حتى إن كنا لا نرى عمله الآن . سنراد و لو بعد حين ، ففرح قلوبنا ، و لا يستطيع أحد أن ينزع فرحنا منا .

على أن أولاد الله يفرحون دائماً بالرب ذاته ، و ليس بمجرد عطايه

١٣- الفرح بنجام الخدمة :

إن المعمدان فرح كثيراً ببشارة السيد المسيح و نجاحها

فقال " من له العروس فهو العريس . و أما صديق العريس الذي يقف و يسمعه ، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس . إذن فرحى هذا قد كمل " (يو ٣ : ٢٩) . لقد فرح لأنه سلم العروس للعريس ، حتى لو انتهت بذلك خدمته . هنا الفرح الروحي البعيد عن الإهتمام بالذات . أما الإنسان الأثاني فلا يفرح إلا بخدمته هو ، كأنه الوحيد الذي يخدم . و من هنا قد يحدث التنافس و الحسد بين الخدام ، و لا يفرحون بعمل غيرهم .

و لا يمكننا أن نتصور مقدار فرح الشعب حينما تم بناء هيكل زربابل بتعب كثير . حتى أن الكتاب يقول أنهم " بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم . كثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح . و لم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب " (عز ٣ : ١٢ ، ١٣) . و كما يقول المزمور " الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج " (مز ١٢٦ : ١) . إن الذين يخدمون في حق الرب ، يفرحون بثمار الخدمة ، مهما كان تعبهم فيها ، بل إن تعبهم يزيد من فرحهم . يقول الرسول :

كحزانى و نحن دائماً فرحون " (٢ كو ٦ : ١٠)

في نظر الناس من الخارج حزاني ، بسبب ما نبذله في الخدمة من ألم و تعب . و لكننا في الداخل فرحون . يقول القديس بولس أيضاً " أفرح في آلامى لأكلكم " (٢ كو ١ : ٢٤) .

١٤- كل إنسان أيضاً يفرح بثمر عمله ، يفرح بعمل الرب معه

و هكذا قيل في المزمور " عظم الرب الصنيع معنا ، فصرنا فرحين " (مز ١٢٦ : ٣) . و هنا نرى أيضاً أن الفرح يمتزج بالشكر .

اقرأ مزمور ١٠٣ تجده كله فرحاً بعمل الرب " بارك يا نفسى الرب ، و لا تنسى كل احساناته " . إن الذى يعمل مع الله ، يفرح بعمل الله معه . و تفرح أن تعبك لم يكن باطلاً . و كما يقول الرب " يفرح الزارع و الحاصد معاً " (يو ٤ : ٢٦) .

١٥- الإنسان الروحي يفرح لفرح غيره

كما يقول الكتاب " فرحاً مع الفرحين " (رو ١٢ : ١٥) . إننا جسد واحد . إن تألم عضو ، تتألم معه باقى الأعضاء . و إن فرح عضو ، تفرح له و معه باقى الأعضاء . المشاركة فى أفراح الناس

فضيلة . قيل عن القديسة اليسانبات العاقر لما ولدت ، إنه " سمع جيرانها واقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها " (لو ١ : ٥٨)
إن الفرح بمجرد العطايا أمر له خطره . لأنه إن لم نأت عطايا الرب أو نعمه ، ربما يتغير القلب من الداخل ، أو يتحول إلى حزن ، أو يتذمر على الرب ، ليس فقط لأنه لم يعط ، بل حتى إن تأخر في عطائه

لذلك فالروحانيون لا يفرحون لمجرد العطية ، بل يفرحون بمعطيها • يفرحون بمحبة وحنو الله الذي يعطي • وهكذا يفرحون بالرب ••

إنهم يفرحون بالرب كأب يهتم بهم ويرعاهم ، و يعطيهم كل ما يحتاجون إليه •• و يفرحون بمحبته لهم التي يتقون بها تماماً ، حتى إن لم يعط ، أو إن لم يروا عطايه (على وجه اصح) لأن الله دائماً يعطي .



هنا و نسأل سؤالاً هاماً :

ماذا عن الموت ؟ هل هو سبب فرح ؟ أم هو سبب حزن أو خوف ؟

الموت هو سبب فرح روحى ، للذين يتقون بمصيرهم بعد الموت • مثل القديس بولس الرسول الذى انتهى الموت قائلاً " لى اشتفاء أن أنطلق و أكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً (فى ١ : ٢٣) • و مثل سمعان الشيخ الذى طلب الموت قائلاً " الآن يا رب تطلق عبدك بسلام حسب قولك ، لأن عيني قد ابصرتا خلاصك " (لو ١ : ٣٠)

أما الذين لم يستعدوا للموت ، و لم يستعدوا للقاء الرب ، فإنهم يخافون الموت ، لأنهم يخافون ما بعد الموت • عدم استعدادهم يمنع الفرح بالموت •

الخطبة عموماً تمنع الفرح الروحى •



من ثمر الروح

(3) السلام

هكذا قال القديس بولس الرسول " ثمر الروح : محبة فرح سلام " (غل ٥ : ٢٢) . وقد تحدثنا عن المحبة و الفرحة . . و نود أن نتحدث الآن عن السلام نذكر أولاً مقدمة عن أهمية السلام ، و عن استعماله في الكتاب و في الصلوات و في الحياة . .

ثم نتحدث عن ثلاثة عناصر هامة للسلام :

١-سلام مع الله ، و سلام من الله .

٢-سلام مع الناس .

٣-سلام داخلي في القلب بين الإنسان و نفسه

أهمية السلام :

السلام عنصر هام لحياة الناس . بدون لا يستقر مجتمع ، ، و لا يهدأ إنسان . و السلام هو شهوة الدول و الشعوب حتى تعمل في هدوء . و بدونه يعيش العالم في شريعة الغاب

و الله يريد لنا السلام ، وبمنحنا إياه .

هو الذي قال لتلاميذه القديسين " سلامي أترك . سلامي أنا أعطيك . . لا تضطرب قلوبكم و لا تجزع " (يو ١٤ : ٢٧) . و نحن نصلي هذا الفصل من الإنجيل في الساعة الثالثة من كل يوم ، متذكرين

هذا السلام ، حتى لا تضطرب قلوبنا ولا تجزع . و السلام هو الأنشودة التى غنى بها الملائكة يوم ميلاد السيد المسيح . فقالوا " المجد لله فى الأعالي ، و على الأرض السلام . " (لو ٢ : ١٤) .

و ما أكثر ما يقول الأب الكاهن عبارة " السلام لجميعكم " .

يقولها فى بدء كل صلاة طقسية ، و فى بدء الأواشى ، مرات عديدة جداً فى كل قداس إنه يصلى أن يكون السلام فى قلوب الجميع ، لأنهم إن فقدوا سلامهم ، فقدوا العنصر الأساسى لحياتهم و التعاملهم من الآخرين . .

و السلام هى التحية التى يتبادلها الناس كل يوم . و هى التى صدرت من الرب و من الملائكة . .

عند ملاقة الرب للمريمتين بعد القيامة ، قال لها سلام لكما (مت ٢٨ : ٩) . و عندما دخل العلية على التلاميذ قال لهم سلام لكم (يو ٢٠ : ١٩) . بل أن هذه العبارات تكررت فى هذا الإصحاح من إنجيل يوحنا ثلاث مرات (انظر أيضاً لو ٢٤ : ٣٦)

و فى إرسال الرب لتلاميذه قال لهم : و أى بيت دخلتموه ، فقولوا سلام لأهل هذا البيت . فإن كان إيناً للسلام ، يحل سلامكم عليه (لو ١٠ : ٥ ، ٦) .

القديسة العذراء عندما زارت القديسة أليصابات بدأتها بالسلام " فلما سمعت اليصابات سلام مريم ، ارتكض الجنين فى بطنها ، و امتلأت اليصابات من الروح القدس " (لو ١ : ٤١) ترى ما قوة ذلك السلام !!

و الملك جبرائيل فى تبشيره للعذراء بميلاد المسيح ، قال لها " السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك " (لو ١ : ٢٨) . و نرى أن الآباء الرسل يبدؤون رسائلهم بالسلام . فيقولون " نعمة لكم و سلام " (رو ١ : ٧) (١ كو ١ : ٢) (٢ كو ١ : ٢) (غل ١ : ٣) (أف ١ : ٢) . و فى خلال الرسائل يقولون : سلموا على . . يسلم عليكم . . (أنظر رو ١٦) (٣ يو ١٥) .

و من أهمية السلام أنه وضع فى مقدمة ثمر الروح ، إذ قيل " ثمر الروح : محبة فرح سلام " (غل ٥ : ٢٢) . و قيل فى المعاملات " ثمر البر يزوع فى السلام من الذين يعملون السلام " (يع ٣ : ١٨) . و كما كان بدء اللقاءات بالسلام ، كذلك أيضاً كانت تنتهى . كما قال أليشع النبى لنعمان السريانى " امض بسلام " (٢ مل ٥ : ١٩) . كذلك قال السيد المسيح للمراى الخاطئة " اذهبى بسلام " (لو ١٧ : ٥٠) .

سلام مع الله

حينما خلق الإنسان مع الله . و لكن بالخطية ، فقد الإنسان سلامة مع الله

هكذا حدث مع آدم (تك ٣) و مع قايين (تك ٤) . و هكذا حدث مع كل الأشرار فى العالم عبر الأجيال . لأن الخطية هى انفصال عن الله (لو ١٥ : ١٣) . و هى أيضاً عداوة لله (يع ٤ : ٤) (١ يو ٢ : ٥) .

لذلك قيل : " لا سلام قال الرب للأشرار " (أش ٤٨ : ٢٢) .

و قد تكرر نفس المعنى (أش ٥٧ : ٢١) ، فى نفس السفر . فالأشرار يفقدون سلامهم مع الله ، هنا على الأرض . و أيضاً فى آخر الزمان ، فى مجئ الرب . و فى ذلك يقول القديس بولس الرسول " مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى " (عب ١٠ : ٣١) . و لكن كيف تكون إذن المصالحة مع الله ؟ (٢ كو ٥ : ٢٠) .

غير المؤمنين يصطلحون مع الله بالإيمان . و الخطاة يصطلحون من الله بالتوبة .

فعن الإيمان قال الكتاب " إذ قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله " (رو ٥ : ١) . هذا السلام كان كان نتيجة للدم الذكى الذى سفكه المصلوب لأجلنا " لأنه هو سلامنا . . الذى نقض الحائط المتوسط " (أف ٢ : ١٤) . هو صنع السلام بين السماء و الأرض .

أما عن التوبة ، فيقول الله - تبارك أسمه - " ارجعوا إلى ، أرجع إليكم " (ملا ٣ : ٧) . و يقول القديس يوحنا الحبيب " إن لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله " (١ يو ٣ : ٢١) . و قال القديس اغسطينوس في كتاب اعترافاته للرب " ستظل قلوبنا مضطربة ، إلى أن تجد راحتها فيك " .

سلام من الله

السلام الحقيقي هو من الله ، هذا الذى قيل عنه فى المزمور " الله يبارك شعبه بالسلام " (مز ٢٩ : ١١) . و عن هذا السلام ، قال الرسول " **سلام الله الذى يفوق كل عقل ، يحفظ قلوبكم و**

افكاركم " (فى ٤ : ٧) .

الله هو مصدر السلام ، ورئيس السلام ، وملك السلام . وأول أوشية هى (أوشية السلامة) ، نطلب فيها من الله سلاماً للكنيسة و كل الشعب .
سلام الله و يحفظنا من الشيطان ، و من الخوف و القلق . . فليتنا نتذكر و عود الله لنا إنك تجد سلاماً داخل قلبك ، إن تذكرت قول الرب " هوذا على كفى نقشتك " (أش ٤٩ : ١٦) .
و أيضاً قوله " أما أنتم فحتى شعور رؤسكم جميعها محصاة " (مت ١٠ : ٣٠) . تكونون مبغضين من الجميع لأجل إسمى . و لكن شعرة من رؤسكم لا تهلك " (لو ٢١ : ١٨) . لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم " (أع ٢٧ : ٣٤) .

مما يجلب السلام ايضاً مزامير عن حفظ الله لك .

مثل المزمور (١٢٠) : " الرب يحفظك . الرب يظل على يدك اليمنى . فلا تضربك الشمس بالنهار ، و لا القمر بالليل . . الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ دخولك و خروجك " . أو المزمور (١٢٣) : " نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر و نحن نجزنا . عوننا من عند الرب الذى صنع السماء و الأرض " . أو المزمور (٩١) " الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير يبيت . لا تخش من خوف الليل ، و لا من سهم بالنهار " . يسقط عن يسارك ألوف ، و عن يمينك ربوات . أما أنت فلا يقتربون إليك " . و ما أكثر وعود الله فى المزامير التى تجلب السلام ، لذلك قلنا

: أحفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير .

تكلما عن السلام الذى من الله ، لأن هناك ألواناً أخرى من السلام الزائف ، ليست من الله !

السلام الزائف

مثاله السلام الزائف الذى كان يوحى به الأنبياء الكذبة قبل السبى حتى لا يتوب الناس خائفين من غضب الله الآتى . و هكذا قال الرب فى سفر حزقيال النبى " أضلوا شعبى قائلين سلام ، و لا سلام " (حز ١٣ : ١٠) . وكما ورد أيضاً فى سفر أرمياء النبى " قائلين سلام ، و لا سلام " (أر ٦ : ١٤) .

إنه لون من الخدام ، فيه تخدير للأعصاب و الضمير .

تماماً مثلما خدع الشيطان أبونا الأولين قائلاً " لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما و تكونان كالله عارفين الخير و الشر " (تك ٣ : ٤ ، ٥) .
و كأي شخص يدعو إنساناً للإشتراك معه فى خطية ما ، و يشعره بأنه سوف لا يصيبه من ذلك أى أذى ، بل سيمر الأمر بسلام !! . سواء كان ذلك فى سرقة أو رشوة أو زنى أو غش . .
و قد يأتى مثل هذا السلام الزائف من ثقة الشخص واعتداده بنفسه ، و ظنه أنه سيفعل كل ما يريد ، و تمر كل تدبيراته الخاطئة فى سلام ! كالقاتل الذى يثق بنفسه أنه سيرتكب جريمته بكل حرص دون أن يترك أثراً ، و يمر ذلك بسلام

كله سلام زائف يصوره الإنسان لنفسه ، أو يصوره له الشيطان أو شركاء السوء أو الممرضون •
ننتقل إلى بند آخر و هو السلام مع الناس :

سلام مع الناس

فيه يسلم الناس بعضهم على البعض ، ليس فقط بالأيدى ، و إنما بالقلب و النية أيضاً • و يقولون كلمة سلام من عمق قلوبهم و يقصدونها •

و إن كانت بينهم خصومة من قبل ، يتصالحون ••

و عن هذا قال السيد فى عظته على الجبل : " إذا ما قدمت قربانك إلى المذبح • و هناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح • و اذهب أولاً اصطّح مع أخيك " (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) • و فى هذا تشترط الكنيسة الصلح قبل تناول ••
و فى القداس الإلهى نصلّى صلاة الصلح قبل قداس القديسين ، و قبل سيامات الإكليروس ••
و لأنه قد يبدو من الصعب أن تصطّح مع كثير من الأعداء و المقاومين ، ذلك قال الرسول :

" إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم ، سالموا جميع الناس " (رو ١٢ : ١٨) •

ذلك لأن البعض لا يمكنك مسالمتهم ، إلا إذا اشتركت فى الخطأ معهم ، أو بسبب شراسة طباعهم ، أو لأنهم يحسدونك بسبب نجاحك ، أو بسبب تدابير معينة يدبرونها ، أو لأن سلوكك الطيب يكشف أخطاءهم ، أو لى سبب آخر •• لهذا حسب طاقتك ، إن كان ممكناً لك ، سالم جميع الناس • و إلا فعليك بالآتى :

*** لا تجعل الخلاف يأتى بسببك •**

كن مصلوباً لا صالِباً • قد يعاكسك الغير • و لكن لا تبدأ أنت بالشر • ثم لا تكن حساساً جداً من جهة أخطاء الآخرين •

*** كن واسع الصدر حليماً •**

اذكر ما قيل عن موسى النبى " و كان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجهه الأرض " (عد ١٢ : ٣) •

حاول باستمرار أن تحتمل و أن تغفر •

و كما قال الرسول " لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء " لا تجازوا أحداً عن شر بشر " (رو ١٢ : ١٩ ، ١٧) • إبعد عن الغضب و عن الإستثارة و الإنفعال و كما قال الرسول :

" لا يغلبنك الشر ، بل اغلِب الشر بالخير " (رو ١٢ : ٢١) •

و أعرف أن الذى يحتمل هو الأقوى • أما الذى لا يستطيع أن يحتمل فهو الضعيف • لذلك قال الرسول " تجب علينا نحن الأقوياء ، أن نحتمل ضعفات الضعفاء ، و لا نرضى أنفسنا " (رو ١٥ : ١)

*** لا تطالب الناس بمثاليات • و إنما إقبلهم كما هم ، بواقعهم ، و ليس كما ينبغى أن يكونوا •**

إننا نقبل الطبيعة كما هى : الفصل المطير ، و الفصل العاطف ، و الفصل الحار ، دون أن نطلب من الطبيعة أن تتغير • فلتكن هكذا معاملتنا لمن نقابلهم من الناس • ليسوا كلهم ابراراً طيبين • كثير منهم لهم ضعفات ، و لهم طباع تسيطر عليهم • إنهم عينات مختلفة ، و بعضها مثيرة • فلتأخذ منهم موقف المتفرج ، و ليس موقف المنفعل • و عاملهم حسب طبيعتهم ، بحكمة •

*** بالوداعة و التواضع يمكن مسالمة الكثيرين •**

إن قيل إنه بالروح الرياضية يمكن أن تكسب الكثيرين و تسالمهم ، فكم بالأكثر بالوداعة و الإلتضاع •• و إن كنت فى مجال الدفاع عن الحق ، فافعل ذلك بهدوء و باتضاع • لك أن تحب الحق ، و أن

تدافع عن الحق ، و لكن ليس لك أن ترغم الناس على السير فيه . إن الله نفسه أعطانا وصايا ، و لم يرغمنا على طاعنها .

الاستثناء الوحيد فى موضوع المسالمة ، هو معاملة الهرطقة و المبتدعين و فاسدى الخلق

نحن لا نستطيع أن نجاهل المبتدعين و الهرطقة على حساب التفريط فى الإيمان . فقد قال القديس يوحنا الحبيب " إن كان أحد يأتيكم و لا يجئ بهذا الإيمان فلا تقبلوه فى البيت ، و لا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة " (٢يو ١٠ : ١١) .

إن أراد أحد أن يبعدك عن الإيمان ، فاحترس منه و لا تجامله ، و لا تقبله فى البيت ، بنفس **الوضع**

يمكن أن نتبتعد عن محاولة أن يفسد خلقك و بقودك إلى الخطية .

واذكر قول الكتاب " لا تضلوا ، فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة " (١كو ١٥ : ٣٣) . و أيضاً ما قيل فى المزمور الأول " طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار . و فى طريق الخطاة لم يقف . و فى مجلس المستهزين لم يجلس " (مز ١) .

و فى السلام الداخلى : الإطمئنان و عدم الخوف



إن عدم وجود السلام القلبي بسبب الخوف . بل يسبب أيضاً القلق و الإضطراب و الانزعاج .

متاعب نفسية كثيرة .

انظروا إلى إنسان يملك السلام قلبه ، مثل داود النبي . نراه يقول فى مزاميره " أن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . و إن قام على قتال . ففى هذا أنا مطمئن " (مز ٢٧) . و أيضاً إن سرت فى وادى ظل الموت ، فلا أخاف شراً ، لأنك أنت معى " (مز ٢٣) . الجيش كله خاف من ملاقة جليات ، لكن داود لم يخف .

كان قلبه مثل اسد . مع أنه كان شاباً صغيراً ، و أخوته الأكبر منه كانوا خائفين . و الملك شاول نفسه قال له " لا تستطيع أن تذهب لتحاربه ، لأنك غلام و هو رجل حرب منذ صباه " (١صم ١٧ : ٣٣) . و لكن داود القوى القلب قال للملك " لا يسقط قلب أحد بسببه . عبدك يذهب و يحاربه " و حكى كيف أنه فى صباه كان يرعى غنمه ، فجاء أسد مع دب ، و أخذ شاه من القطيع " و لم يخف داود من كليهما ، بل خرج وراء الأسد ، و أنقذ الشاة من فمه . و قتل الأسد و الدب جميعاً " (١صم ١٧ : ٣٤ - ٣٦) .

و عدم خوف داود من جليات الجبار ، كان مرتكزاً على عمل الرب .

قال داود " الرب للرب " و ليس الخلاف بسيف أو برمح . و قال الجبار " أنت تأتي إلى بسيف ورمح و بترس ، و أنا أتى إليك باسم رب الجنود " في هذا اليوم يحبسك الرب في يدى . . " إنها ثقة قوية بعمل الرب ورعايته . لذلك لم يخف مطلقاً ، و بإيمانه ادخل إسم الله إلى ساحة الحرب . . الله الذى هو أقوى من جليات الجبار ، و من كل جبابرة الأرض ، لذلك قال عن جليات " لا يسقط قلب أحد بسببه " (اصم ١٧ : ٣٢) . .

و هكذا الذى يملك السلام قلبه ، ليس فقط يكون مطمئناً ، بل أيضاً يشيع الإطمئنان فى القلوب . فكمثال داود ، كان موسى و يشع : كل منهما فى سلامه و اطمئنانه ، كان يبعث نفس الإطمئنان فى قلوب غيره . جيش الأعداد كان يحيط بالسامرة ، و كان الإشع مطمئناً . أمام تلميذه جيحزى فكان خائفاً ، لأنه لم يكن يبصر المعونة الإلهية المحيطة بالمدينة . لذلك قال الإشع لتلميذه جيحزى " لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا " (مل ٦ : ١٦) . . و صلى إلى الله لكى يفتح عينى الغلام فيرى . . و الشعب أمام البحر الأحمر من ناحية ، و فرعون من ناحية أخرى . خافوا إذ رأوا الموت يهددهم ، و لم يكن لهم الإيمان الذى يرون به خلاص الرب . أما موسى فلم يخف . بل قال للشعب " لا تخافوا . قفوا و انظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم و أنتم تصمتون " (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

بالإيمان نرى معونة الله و خلاصه . فلا نخاف .

بطرس الرسول و هو ماش مع الرب على الماء نظر إلى الأمواج " و لما رأى الريح شديدة خاف و ابتدأ يغرق " (مت ١٤ : ٣٠) و سبب ذلك أنه كان ينظر إلى الموج و ليس إلى المسيح الذى يمسك بيده و ينجيه . لذلك وبخه السيد على عدم إيمانه و قال له " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت " (مت ١٤ : ٣١) .

إن الله دائماً يدعونا إلى عدم الخوف .

إنه يقول " لا تخافوا . لا تضطرب قلوبكم و لا تجزع " " سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم " (يو ١٤ : ٢٧) . و كان الله دائماً يقوى أولاده ، يدعوهم إلى عدم الخوف . . لما أحس يشوع بالضعف بعد موت موسى النبى ، قال له الرب " كما كنت مع موسى النبى أكون معك ، لا أهملك و لا أتركك " " تشدد و تشجع . لا تهرب و لا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب " بل قال له أكثر من هذا " لا تقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك " (يش ١ : ٥ - ٩) . و ما أجمل العبارة المعزية التى قالها لبولس الرسول فى رؤياه " لا تخف ، بل تكلم و لا تسكت ، لأنى أنا معك ، و لا يقع بك أحد ليؤذيك " (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) . و عندما كان يعقوب أبو الآباء خائفاً من أخيه عيسو ، ظهر له الرب فى رؤياه و عزاه . و قال له " ها أنا معك ، و أخفظك حيثما تذهب ، و أردك إلى هذه الأرض " (تك ٢٨ : ١٥) .

إن الخوف دخيل على الطبيعة البشرية ، لم يدخل إلى النفس إلا بعد الخطية .

كان آدم يعيش مع الوحوش ، مع الأسود و النمور و الفهود ، و مع الثعابين و الدبيب ، و ما كان يخاف ، و كذلك كان أبونا نوح فى الفلك مع كل هذه الوحوش ، و كان يعتنى بها و يطعمها ، و ما كان يخاف آدم لما أخطأ بدأ يخاف . واختبأ خلف الشجر ، وقال للرب " سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاخبتأت " (تك ٣ : ١٠)

و كما خاف آدم بعد الخطية ، كذلك خاف قايين . و قال للرب " ذنبى أعظم من أن يحتمل . ها قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، و من وجهك أختفى . و أكون تائهاً و هارباً فى الأرض . فيكون كل من وجدنى يقتلنى " (تك ٤ : ١٣ ، ١٤) . و قضى قايين أيامه فى رعب ، فاقداً لسلامة الداخل

الخطية تشعر الإنسان بأنه فصل عن الله مصدر القوة و الحماية ، فيخاف .

يخاف من الخطية و انكشافها و فضيحتها أمام الناس ، يخاف من نتائج الخطية ، و من عقوبة المجتمع أو القانون ، و يخاف من الله نفسه و دينونته ، و يخاف من ضعفه أمام الخطية ، و من الشيطان الذى انتصر عليه .

فإذا حصل الإنسان على مغفرة الله وستره ، فلا يخاف ، وإن آمن بمعونة الله له فى ضعفه ، فلن يخاف لأن مجرد شعوره أن الله معه ، ينزع الخوف من قلبه .

الإنسان الخائف ، ينظر إلى سبب الخوف و ليس إلى الله الذى ينجيه منه .



ما أكثر اسباب الخوف ، وهى نابعة من داخل الإنسان .

البعض يخاف من كلام الناس ، و من بطشهم ، و من مؤامراتهم . و البعض يخاف من حسد الناس و طالما هو يؤمن بالعين الحاسدة و أثرها السئ ، سيظل خوفه مستمراً . و ليس مصدر خوفه هو قوة عين الحسود ، إنما السبب يكمن فى ضعف قلبه الذى يؤمن بالحسد .

و قد يخشى أخذهم من الناس الأشرار ، و لا يضع فى قلبه معونة الله

كان ارميا يخاف من الناس . أما الرب فقال له " لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك - يقول الرب- لأنفذك . . هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة و عمود حديد و اسوار نحاس على كل الأرض . . فيحاربونك و لا يقدرن عليك ، لأنى أنا معك لأنفذك " (أر ١ : ٨ ، ١٨ ، ١٩) .

و قد يخاف إنسان من قوم ، و هم لا يفكرون مطلقاً فى إبدائه .

مثلاً كان شاول الملك يخاف داود ، يطارده فى كل مكان ليقتله . بينما لم يفكر داود إطلاقاً فى أن يؤذى شاول حتى عندما وقع فى يده ، و كان بإمكانه أن يقتله و نصحه اتباعه بذلك . . قال داود " حاشاً لى أن افعل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ، فأمد يدى إليه ، لأنه مسيح الرب هو . ووبخ داود رجاله ، و لم يدعهم يقومون على شاول " (١ صم ٣٤ : ٦ ، ٧) . و قال للملك لما استيقظ " وراء من خرج ملك إسرائيل ؟! وراء من أنت مطارد ؟! وراء كلب ميت ؟! وراء برغوث " . . و كانت النتيجة أن شاول الملك رفع صوته و بكى و قال لداود " أنت أبر منى " (١ صم ٢٤ : ١٤ ، ١٦) .

(. كان يخاف من وهم . من شئ غير موجود ، كخوف الأطفال .

الطفل يخاف من أوهام . من أمور يتصورها قلبه الخائف ، و يخترعها فكره الخائف ، مثل أن يخاف من الظلام . . و ليس وراء الظلام ما يخيف . . أو يخاف من (حرامى) غير موجود . . أو يخاف من (عفريت) و ليس هناك عفاريت . . أنها أوهام يخترعها القلب الخائف . أو يخاف الطفل من وجود وحده ، و عدم وجود أحد إلى جواره يحميه من أى خطر غير معروف . و يصرخ الطفل و يبكى بلا سبب إلا الخوف .

و تستمر مخاوف الطفولة عند البعض و هم كبار .

يخاف من امتحان ، ربما يكون صعباً و الأسئلة معقدة ، أو من التصحيح و قد يكون قاسياً . . و إن نجح و قدم على الوظيفة و طلبوه للمقابلة يخاف من ال Interview ، فربما يفشل فيه

وقد تخاف فتاة من لقاء عريس جاء لخطبتها .

ربما لا تعجبه ربما يذهب و لا يعود . و ربما تخاف مما يقوله الناس بعدئذ . . و تخاف من لقاء عريس آخر ، لنلا يذهب كما سابقة و تستمر المخاوف . .

وقد يخاف الإنسان من الفشل .

فإن قام بأى مشروع يخاف أن يفشل ، يخاف أن تقف أمامه معوقات ، أو مؤامرات من المنافسين ، أو خيانة و سرقات من الشركاء .

إن كان فقيراً ، يخاف من العوز ، و أن كان غنياً يخاف من السرقة ، و على أية الحالات يخاف . .

• وإنسان يخاف من المخاطر •

إن ركب طائرة يخاف أن تحدث لها كارثة ، و يتذكر كل كوارث الطائرات و ما نشر عنها فى الصحف . . و فى كل طرق المواصلات ، يخاف من الحوادث ، لا يضع أمامه النقط البيضاء . . إنما كل سجل النقط السوداء حاضر فى ذهنه ، فكره هو الذى ينميه و يخيفه .

• وإنسان آخر يخالف من نفسه :

يخاف من عجزه ، من عدم قدرته ، من نسيانه ، من ضعفه أمام قوة منافسيه و خصومه . . يخاف من عدم قدرته على الإستمرار ، لذلك يفقد الثقة بالنفس ، يفقد روح الجرأة و الإقدام ، و يفقد القوة على البدء بأية مبادرة . صورة العجز و الفشل مائلة أمامه باستمرار . . إنه يخاف حتى من الخطية و عجزه عن مقاومتها .

الخوف يسبب له الإضطراب و القلق و الإنزعاج ، بل الخوف يشل تفكيره عن العمل

و يكون له تأثيره على نفسه و على أعصابه . . و يظهر الخوف فى ملامحه ، فى نظراته ، فى لهجة صوته ، فى حركات جسده . بل قد يرتعش و يصفر وجهه . و يخفق قلبه ، و يكون مكشوفاً أمام الكل أنه خائف . . و قد يظهر الخوف فى تصرفاته ، فى تردده ، و عدم قدرته على اتخاذ قرار بحته عن حماية . .

البعض قد يقوده الخوف إلى الإنطواء ، و إلى تكرار عبارة " يكون كل من وجدنى يقتلنى " (تك ٤ :
١٤) . أما الإنسان الروحى فلا يخاف ، بل يملك السلام على قلبه ، و بالسلام الطمأنينة

• و قد يخاف إنسان من الموت : أو يخاف من المرض الذى يؤدى إلى الموت •

و إذا أصيب بمرض تنهار معنوياته ، و يتصور أقصى ما يمكن أن يتطور عليه المرض ، مثلما يفكر بعض الأطباء إذا مرضوا . . و قد يخاف البعض من العدوى ، و يتخذ لتفاديها وسائل تخرج عن الحد المألوف !



• أما الإنسان الروحى ، الذى يملك السلام على قلبه ، فلا يخاف الموت •

لأن استعداده للموت بالحياة البارة ، ينزع خوف الموت من قلبه . بل على العكس يشتهي الموت ، الذى ينقله إلى عشرة المسيح و الملائكة و القديسين . و يذكر قصص الشهداء و آباء البرية .

الشهداء الذين لم يخافوا الموت و لا التعذيب و لا التهديد ،

و لا الولاة و لا المحاكمات و لا السجون . و كانوا يرتلون فى السجون ، و يفرحون بقاء الرب . . سيرة قلوبهم القوية ، تمحك قوة فلا تخاف ، يملك السلام على قلبك . .

• كذلك آباء البرية ، الذين ما كانوا يخافون الوحدة فى البرارى •

بل يجدون فيها متعة روحية ، و ما كانوا يخافون حروب الشياطين ، و لا وحوش البرارى ، و لا دبيب الأرض ، و بعضهم كان يسكن أحياناً فى القبور ، و لا يخاف . و معروفة قصة ابا مقار الذى نام فى مقبرة و قد وضع جمجمة تحت رأسه ، فتحدث معها الشياطين لكى يفرعوه ، و بكلام هزء ، حتى يفقد هدوء قلبه . . و لم يخف .

كونوا إذن أقوياء القلب ، و عيشوا فى سلام . لا تخافوا ، و ليكن لكم سلام فى قلوبكم .

لكى يحتفظ الإنسان بسلامة و اطمئنانه ، ينبغى أن يتذكر قوة الله الحافظة

يؤمن بأن الله موجود ، و أنه يعمل لأجله ، كما يؤمن أن كل مشكلة لها حل ، و أن الله عنده حلول كثيرة و غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله ، " و كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٤)

و لكي يحصل على السلام الداخلى ، يتذكر أن ملاك الله حال حول خائفيه و ينجيهم ، و أننا محاطون
بملائكة كثيرين لحفظنا ، و فى الكتاب أمثلة عديدة لهذا ، و كذلك يتذكر عمل القديسين وصلواتهم من
اجلنا و شفاعتهم فينا ، و أننا لسنا وحدنا ، كذلك عمل النعمة و الروس القدس فينا ،

و فى الإطمئنان ، لنحترس من الإطمئنان الزائف .

مثل مريض بسرطان خطير ، يدخلون الإطمئنان إلى قلبه ، بأن المرض مجرد كيس دهنى بسيط !
أو مثل إطمئنان مدير عام لعمل ، يشعره موظفوه بأن كل شئ تمام ! و يثق بذلك دون فحص .

من ثمر الروح

(4)

طول الأناة
أ- عند الله

هكذا قال القديس بولس الرسول " و أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف . . " غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . و هذه الفضائل ترتبط معاً . فالذى عنده محبة بالضرورة يحيا فى فرح و سلام . و الذى عنده محبة ، لبد أن يتصف بطول الأناة . و هكذا يقول الرسول أيضاً " المحبة تتأنى . . " (١٣ : ٤)

و طول الأناة ، توصف بأنها طول الروم ، و طول البال ، وسعة الصدر ، و الحلم ، و الصبر .
فالإنسان الطويل الأناة ، هو إنسان صبور حلیم طويل البال . واسع الصدر ورحب القلب . و قيل فى ذلك عن سليمان الحكيم : " و أعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً ، ورحبة كالرمل الذى على شاطئ البحر " (١ مل ٤ : ٢٩) . و قيل عن موسى النبی " و كان الرجل موسى حلیمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) .

طول أناة الله

الله نفسه طويل الأناة طويل الأناة طويل الروم .
لولا طول أناته علينا ، لهلكنا جميعاً . و طول أناته تنبع من عمق رحمته وحنانه . و فى ذلك يقول داود النبی " الرب رحيم ورؤوف طويل الروح و كثير الرحمة " (مز ١٠٣ : ٨) . و يقول القديس بطرس " احسبوا أناة ربنا خلاصاً " (٢ بط ٣ : ١٥) .

إنه يطيل أناته جداً فى معاملة الخطاة .
كم أطل أناته على الأمم - فى عبادتهم للأصنام - حتى تابوا أخيراً ورجعوا إليه . . أطل أناته على أهل نينوى ، إلى أنا صاموا منسحقين أمامه ، فقبل توبتهم . و حزن يونان لأن الله لم يعاقبهم !

(يون ٣ ، ٤) .

أطال أناته مثلاً على فرعون ، الذي وعد مراراً ولم يف .

كم صبر الله عليه في قسوته و إذلاله للناس . و صبر عليه في الضربات ، ليس في واحدة فقط ، و إنما في عشر ضربات . في كل ضربة ، كان يصرخ فرعون و يقول أخطأت (خر ٩ : ٢٧) (خر ١٠ : ١٦) . و كان يعد بالتوبة و يرجع . الله يطبل أناته ! .

إن طول أناة الله ، إنما تقتاد الخاطئ إلى التوبة . فإن لم يتب ، يتعرض لعقوبة الله .

و هكذا ينذر القديس بولس الرسول فيقول للخاطئ " أم تستهين بغنى لطفة و إمهاله و طول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة . و لكنك من أجل قساوتك و قلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب " (رو ٢ : ٤ ، ٥) .
فلا تظن إذا أخطأت كثيراً ولم تتك عقوبة ، أن عدل الله قد كف عن العمل .
بلا ربما إن كاسك لم تمتلئ بعد . كما قال الرب مرة " لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً " (تك ١٥ : ١٦) . كذلك لما أكتمل كأس سادوم ، حرقها الرب بنار " (تك ١٩) .
الله يطبل أناته ، لأن هذه هي طبيعته .

و طول أناته أما تقتاد إلى التوبة ، أو إلى الدينونة .

و لعل من الأمثلة الجميلة لطول أناة الله ، قصة تلك التينة التي ظلت ثلاث سنوات في الكرم ، دون أن تنتج ثمراً و جاءت فكرة قطعها بدلاً من أن تبطل الأرض . و لكن قيل :

" اتركها هذه السنة أيضاً ، حتى انقب حولها و أضع زبلاً " .

" فإن صنعت ثمراً ، و إلا ففيما بعد نقطعها " (لو ١٣ : ٦ - ٩) . حقاً إن طول الأناة تعطى فرصة أخرى ، فرصة لإصلاح الحالة .

لقد أطال الرب أناته على الشعب في البرية ، على لرغم من أنه كان شعباً صلب الرقبة ، كثير التذمر ، كثير التقلب . قال عنه الله " مددت يدي طول النهار ، لشعب معاند مقاوم " (رو ١٠ : ٢١) . و مع ذلك أطال أناته عليه ، و أبقى منه بقية قال عنها اشعيا النبي
" لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية ، لصرنا مثل سادوم و شابهنا عمورة " (أش ١ : ٩) .

و من أمثلة طول أناة الله معاملته لأهل السامرة .

في مرة إحدى قرى السامرة أغلقت أبوابها في وجهه ، لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم . فقال له تلميذه يعقوب يوحنا أتشاء أن تنزل نار من السماء فتفنيهم . أما طول أناة الرب على السامرة فلم تفعل هذا . بل انتهر تلميذه قائلاً : لستما تعلمان من أي روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو ٩ : ٥٢ - ٥٦) . و جاء الوقت الذي خلصت فيه مدينة السامرة ، و تعمدت و قبلت الروح القدس (أع ٨ : ١٤ - ١٧) .

عجيبة هي طول أناة الله على مضطهدي الكنيسة .

و لعل في مقدمتهم شاول الطرسوسي الذي قال عن نفسه " أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً و مضطهداً و مفترياً . و لكني رحمت لأنني فعلت ذلك بجهل في عدم إيمان " (اتي ١ : ١٣) .
شاول هذا الذي " كان ينفث تهديداً و قتلاً على تلاميذ الرب . حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساء ، يسوقهم موثقين إلى أورشليم " . (أع ٩ : ١ ، ٢) . شاول هذا أطال الله أناته عليه ، حتى أصبح صعباً عليه أن يرفس مناحس . و ظهر له في الطريق إلى دمشق ودعاه إلى خدمته . و أصبح إناءً مختاراً له (أع ٣ - ١٦) و رسولاً للأمم ، و تعب أكثر من جميع الرسل في خدمة الله (اكو ١٥ : ١٠) .
يقيناً لو لم يطبل الله أناته على شاول الطرسوسي ، لفقدت الكنيسة هذا الإنسان الجبار في خدمته ، بولس الرسول .

أطال الله أناته على أريبانوس والى أنصنا ،الذى كان قاسياً جداً وعنيفاً فى الأضطهاد القديسين أيام ديوقديانوس الملك ، و على يديه استشهد كثيرون . ون بطول أناة الله آمن أريبانوس ، بل و صار شهيداً ، تحتفل الكنيسة بذكراه . .

و أطال الله أناته على كثير من الخطاة .

أمثال أوغسطينوس ، و مريم القبطية ، بيلاجية ، و موسى الأسود، كثيرين غيرهم ، و بطول أناة الله تاب هؤلاء كلهم . بل صاروا أنوار فى الكنيسة يبعثون الرجاء فى قلب كل تائب . فاوغسطينوس صار أسقفاً و أحد معلمى الكنيسة الكبار . و موسى الأسود صار من كبار آباء الرهبنة . و مريم القبطية توحدت و صارت من السواح . . ترى لو لم يطل الله أناته على هؤلاء ، كانت نفوسهم تهلك ؟! و تخسر الكنيسة كل بركاتهم . . !!

أيضاً أطال الله أناته على كثير من الملحدين و الوثنيين .

أطال أناته على روسيا البلشفية ، حتى عاد أكثر من مائة مليون إلى الإيمان ، و كذلك رومانيا و كثير من بلاد الإتحاد السوفيتى ، فأمن كل هؤلاء و فرحوا بالرب . و فى بدء المسيحية أطال أناته على كثير من فلاسفة الوثنية ، حتى صاروا فلاسفة مسيحيين . بل أطال أناته على بعض السحرة ، فأمنوا و مثال ذلك أثناسيوس الساحر الذى جهز سمّاً مميتاً تناوله القديس مارجرس فلم يؤذه و سيدراخس الساحر الذى جهز سمّاً للقديس أباقسطور . فلم يؤذه أيضاً . فأمن كل من هذين الساحرين ، و نالا إكليل الشهادة . كان الله قد أطال أناته على كل منهما . إلى أن أتى الوقت الذى يشعر فيه كل منهما بأن هناك قوة أقوى من سحره فيؤمن . .

إن الله ليس فقط يطيل أناته على الخطاة حتى يتوبوا ، إنما أيضاً هو طويل الأناة من جهة تدبير

الأوقات . .

إنه يختار الموعد الذى يراه مناسباً ليعمل فيه ، و يدبر خططه الإلهية الحكيمة . و لعل من أمثلة ذلك تدبير قضية الفداء . .
لقد وعد أبونا الأولين بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) . و مرت آلاف السنين ، و الحية رافعة رأسها تسحق عقب الآلاف من البشر بل الملايين . . و بطول أناة عجيبة كان الرب ينتظر ملء الزمان الذى يتم فيه التجسد (غل ٤ : ٤) .
طول أناته انتظرت الوقت الذى توجد فيه العذراء القديسة التى تستحق هذا المجد و تحتمله ، و الوقت الذى يوجد فيه يوحنا المعمدان الذى يهيئ الطريق قدامه ، و أيضاً الذى يوجد الاثناء عشر الذين يحملون الرسالة من بعده . و تكون النبوءات كلها قد تمت مع باقى تفاصيل أخرى تجعل اختيار الوقت مناسباً ، كله حكمة . .

إذن لا يحتاج أحد و يقول : لماذا يارب قد تأخر عمل الفداء ؟!

كلا ، إنه لم يتأخر مطلقاً ، بل جاء فى نفس موعده الذى حدده الله من قديم الزمان . و كانت أناة الله تمهد لإعداد كل شئ . و تمهد أيضاً لفهم الناس و قبولهم . و لو كان الفداء قد تم منذ أيام آدم ، ما كان أحد قد فهمه و لا قبله و لا آمن به إننا نحاول أنفهم الأزمنة بعقلنا القاصر . و الرب يقول :
" ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة و الأوقات التى جعلها الأب فى سلطانه " (أع ١ : ٧) .
ليس لنا أن نستعجل الله فى العمل ، أو نقول له كما سبق و قال داود ، تأكد أن الله فى طريقه إليك ، حتى قبل أن تطلب . و سوف تصل معونته فى أفضل وقت مناسب . .

أنظروا إلى قصة يوسف الصديق مثلاً :

ألقاه أخوته فى البئر ، و لم يفعل الرب شيئاً لإنقاذه منهم . و باعوه كعبد ، يبدو أن الله لم يتحرك . ثم يتهم يوسف ظلماً و يلقي به فى السجن ، تمر سنوات . . فهل كان الله قد أهمله و تركه ؟! كلا . بل إن الله فى طول أناته ، يعد و يدبر الأوقات و المناسبات التى يحول فيها يوسف إلى وزير أو أمير .

و لو كان الله قد حل مشكلة يوسف ، من وقت إلقائه فى البئر ، لظل يوسف مجرد راع بسيط !!



قلنا إن الله طويل الأناة • ونقول أيضاً إنه يعلم أولاده طول الأناة أيضاً ، يدربهم على ذلك •
اتفق الله مع إيليا على إنزال المطر ، بعد ثلاث سنوات ونصف من المجاعة • و ذهب إيليا و صلى من أجل ذلك مرة و مرتين و ثلاثاً • إلى سادس صلاة ، و لم ينزل المطر! و لم ييأس إيليا و و استمر فى الصلاة بطول أناة • و فى الصلاة السابعة ، رأى غيمة فى حجم قبضة اليد (١ مل ١٨ : ٤٤) • فعرف أن صلاته قد استجيب • •

من ثمر الروح

(4)
طول الأناة
ب- عند البشد

تكلّمنا عن طول الأناة عند الله . و نود أن نتكلّم الآن عن طول الأناة عندنا نحن البشر مادّما قد خلقنا على صورة الله ، كشبهه و مثاله (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) ، إذن ينبغي أن نكون شبيهه في طول الأناة . من منا لم يطل الله أناته عليه ، و لم يأخذه و هو في عمق خطاياه ؟! ليتنا إذن نتعامل من الناس بنفس الأسلوب ، بطول الأناة . لأن الكتاب يقول " بالكيل الذي به تكلّيون ، يكال لكم " (مت ٧ : ٢) .



هناك من يتضايق من معاملات الناس و أسلوبهم الذي لا يستطيع أن يحتمله . يقول لقد نبهت فلاناً من الناس أن يغير أسلوبه في التعامل معي ، ولم يغيره ! وربما تقول زوجة هذا الكلام عن زوجها

و للناس طباع يحتاجون في تغييرها إلى طول أناة .

ليس من السهل عليهم أن يغيروا طباعهم بسرعة . ربما يريدون و لا يستطيعون . و قد يغلبهم الطبع فتتكرر أخطاؤهم عن قصد أو غير قصد . و قد لا يشعرون أن ما يفعلونه خطأ . . عاش التلاميذ مع السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات . يتعلمون منه . و كما قال لهم " تعلموا مني ، فإنّي وديع و متواضع القلب " (مت ١١ : ٢٩) . و مع ذلك فإنه عند القبض عليه ، ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف ، فقطع أذنه (يو ١٨ : ١٠) فوبخه السيد قائلاً : رد سيفك إلى غمده ، لأن الذين يأخذون بالسيف يهلكون " (مت ٢٦ : ٥٢) . إن القديس بطرس الرسول لم يستطع أن يقاوم طبع الإندفاع الذي كان عنده ، و غلب منه مرات . و احتاج إلى طول أناة من الرب أن يحتمله ، حتى وقت غسل الأرجل (يو ١٣ : ٦ - ١٠) . و بنفس

الإنديفاع تكلم و أخطأ حينما قال السيد المسيح إنه سوف " يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة و الكتبة و يقتل و فى اليوم الثالث يقوم " (مت ١٦ : ٢١) . كل التلاميذ سكتوا ، أما بطرس فلم يستطع أن يقاوم اندفاعه ، و انتهر السيد قائلاً " حاشاك يا رب " . فوبخه الرب على ذلك القديس موسى الأسود أيضاً إحتاج إلى طول أناة عجيبة من معلمه القديس أيسوذورس ، حتى يتغير طبعه و حتى يصير قديساً تائباً وديعاً و معلماً لكثيرين . . .

بطول الأناة ، لا يملكنا الغضب على الخطاة .

و فى هذا قال الكتاب " ليكن كل إنسان مسرعاً فى الإستماع ، مبطناً فى التكلم ، مبطناً فى الغضب . هذا الإبطاء يعنى طول الأناة فى الإستماع إلى الناس ، و إعطاء فرصة للعقل أن يتدبر الأمر فى حكمة ، يهدئ نفسه فلا يخطئ . . الإنسان الطويل الأناة هو إنسان بطئ الغضب .

إن الله كان يطيل أناته علينا ، لأنه يعرف ضعف طبيعتنا .

يقول داود النبى فى ذلك " لا يحاكم إلى الأبد ، و لا يحقد إلى الدهر . لم يصنع معنا حسب خطايانا ، و لم يجازنا حسب آثامنا . . لأنه يعرف جبلتنا . يذكر أننا تراب نحن " (مز ١٠٣ : ٩ - ١٤) . فليتنا نعمل بعضنا بعضاً بنفس الأسلوب ، بطول أناة ، واضعين أمامنا ضعف الطبيعة البشرية و إمكانية سقوطها . فقد قيل عن الخطية إنها " طرحت كثيرين جرحى ، و كل قتلها أقوىاء " (أم ٧ : ٢٦) .

فى التربية و الخدمة

البعض يتعب و قد يياس ، إن بم تأت الخدمة ثمارها بسرعة . و قد يصفها - طالماً - بأنها خدمة فاشلة . بينما تحتاج إلى طول بال التتمو فى هدوء . . كم من السنين قضى المسيح فى خدمة التلاميذ و إعدادهم . و بعد أكثر من ثلاث سنين ، أمرهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من **الأعالي**)

لو ٢٤ : ٤٩) تأمل الشجرة كيف أنها لا تعطى ثمرها إلا بعد سنوات :

و الغارس يطيل أناته عليها حتى تعطى ثمرها فى حينه " . و كل شجرة لها طبيعتها . فمنها التى تثمر بعد ثلاث سنوات ، و التى تعطى ثمرها بعد خمس سنوات أو بعد سبع . و الغارس فى كل ذلك الانتظار لا يقلق ، بل يتدرب على طول الأناة .

الطفل هو تدريب آخر فى طول الأناة .

المرأة تحبل . و تظل ٩ أشهر فى انتظار ولادة طفلها . الذى ينمو تدريجياً فى بطنها ، حتى يكتمل نموه فيخرج . و قد ترك هذا الأمر تأثيره فى القديس يوحنا ذهبى الفم ، فقال : إن كان الجنين يأخذ فترة حتى جسدياً ، فكم بالأولى الإنسان لينمو روحياً ، يحتاج إلى زمن و طول أناة كذلك فالطفل يحتاج إلى فترة حتى يمشى وحتى يتعلم . و نحن لا نطالبه بما هو فوق مستواه ، بل نطيل آثاننا عليه . و نفرح بتدرجه فى القامة و فى المعرفة .

أيضاً يلزم طول الأناة فى الكرازة و الخدمة و التعليم .

و كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس " عظ بكل أناة و تعليم " (٢تى ٤ : ٢) ذلك لأن الناس قد لا يحتملون أحياناً الدرجات العالية فى الروحيات إن كانوا لم ينضجوا بعد . و هكذا قال الرسول لأهل كورنثوس " سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون . بل الآن أيضاً لا تستطيعون . لأنكم بعد جسديون " (١كو ٣ : ٢ ، ٣) . و بنفس الأسلوب و طول الأناة ، رأى الآباء الرسل " ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم . بل

و السيد المسيح له المجد وبخ الكتبة و الفريسيين " لأنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ، و يضعونها على أكتاف الناس " (مت ٢٣ : ٤) .

لذلك فالمستويات العالية من التعليم ، لا تعطى لكل أحد .

و إنما التدرج أو الأناة فى التعليم ، هو الذى يأتى بنتيجة . و إن لم يستطع البعض أن يمارس تدريبات روحية معينة ، فلا تقسوا عليهم و لا تنتهروهم بشدة ، إنما اصبروا عليهم و شجعوهم و كما قال الرسول :

شجعوا صغار النفوس • اسندوا الضعفاء • و تأنوا على الجميع " (١٤ : ٥)

فإن خدم خادم فصلاً ، و وجد تلاميذ لا يتحسنون بسرعة ، فلا ييأس ، و لا يتهم نفسه بأنه لا يصلح للخدمة . كما لا يتهم المخدمين بأنه لا فائدة ترجى منهم ! كلا ، يا أخى ، ليس العيب فيك و لا فيهم . إنها طبيعة الخدمة تحتاج إلى وقت و طول بال . لذلك تأن عليهم ، و لا تظن أن طباع الناس تتغير فجأة بكلمة أو بنصيحة !

إن الدجاجة تلزمها فترة تحتضن فيها البيض ، حتى ينضج و تخرج فراخه . و البذار لابد أن تقضى فترة فى الأرض ، حتى تخضر و تنمو ، و تصير شجراً و تثمر . و كل هذا يحتاج إلى طول بال و انتظار . فانتظر إذن و اصبر . فإن الكتاب يقول :

" من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص " (مت ١٠ : ٢٢) • و يقول أيضاً " بصبركم تقتنون أنفسكم " (لو ٢١ : ١٩)

لقد قال داود النبي " انتظرت نفسى الرب ، من محرس الصبح حتى الليل " (مز ١٣٠ : ٦ ، ٧) . يقصد من البداية حتى التمام ، بل طول أناة

فى الصلاة

الإنسان الطويل الروح يصلى ، و لا يقلق من جهة استجابة الله لصلاته . يكفى أن الله قد سمعها . نترك الأمر إذن لمحبه . هو يستجيب الصلاة فى الوقت المناسب ، و بالطريقة المناسبة ، حسب حكمته و حسن تدبيره و تقديره للأوقات .

هناك أشخاص ليس لهم طول أناة فى الصلاة • لا ينتظرون الرب • و مع ذلك يعاتبون الله كثيراً • و يكادون يغلطونه أحياناً !!

و يقولون : يارب أنت • و أنت • و هو يطيل أناته عليهم و على عتابهم . يحتاج الأمر منهم إلى الإيمان بعمل الرب لأجلهم .

أحياناً يتباطأ الرب فى الإستجابة ، أو يخيل غليناً أنه تباطأ . و ذلك لكى يدرّبنا على السبر و الإيمان . فلا يأتى إلا فى الهزيع الأخير من الليل . و لا يفتقد العمال إلا فى الساعة الحادية عشرة من النهار ! (مت ٢٠ : ٦ ، ٧) . كل ذلك لكى يعلمنا أن ننتظر الرب ، و لكى نتدرب على طول البال ، هذه الصفة التى هى من صفات الله

أحياناً يبدو الله طويل البال فى حل المشاكل !!

ذلك لأن صاحب المشكلة يكون قلقاً و منزعجاً ، و يريد حلها فى التو و اللحظة . و ليس لديه طول بال و لا صبر على حل المشكلة . بينما يكون الله قد استلم المشكلة ، و بدأ فعلاً فى حلها ، بالأسلوب الذى يتناسب مع حكمته فى التدبير . طول بال الله ، إنما يقودك إلى اللجاجة فى الصلاة ، و ليس إلى القلق .

نصبر عدم طول الأناة

الإنسان الذى ليس له طول البال ، يقيم فى القلق والضجر والإنزعاج • و تتعب نفسيته و يفقد

سلامه الداخلى ••

يفلق بسرعة ، كشخص فى كل دقيقة أو لحظة ينظر إلى الساعة !

*و قد يصاب الإندفاع و التسرع ، مما يسبب له نتائج رديئة !

*والذى ليس له صبر ، و لا طول أناة ، ربما فى تسرعه يأخذ قرارات أو مواقف ارتجالية أو هوجائية . كالشخص الذى يرى أن الله لم يستجب صلواته ، فيقسم أنه لن يدخل الكنيسة !! احتجاجاً منه على الله •• !

***قد ينفذ القلق و عدم طول البال إلى الإعتماد على الذارع البشرى و الحكمة البشرية الخاطئة •**

مثال ذلك حينما ظن أبونا إبراهيم أن الله لم يعطه نسلًا حسبما وعده ، فلجأ إلى الحكمة البشرية ليتخذ هاجر زوجة له تنجب له ابنًا (تك ١٦ : ١-٤) •• أو لم يجد أن نسله لم يصر مثل نجوم السماء فى الكثرة ، فأخذ قطورة زوجة فولدت له بنين كثيرين (تك ٢٥ : ١ - ٤)

و العجيب أن الطريق البشرية قد تأتى بنتائج سريعة ، و لكنها ليست حسب مشيئة الله التى

قد تتأخر و لكن فى حكمة و بركة و منفعة •

طريقة الله هادئة ، و تسير خطوة ، حتى تصل بسلام ••

*هناك أشخاص ليس لهم بال حتى فى الكلام مع الناس • فيقاطعون غيرهم ، و لا يستطيعون أن ينتظروا إلى أن ينتهى مخاطبهم من كلامه لكى يتابعوه بعد ذلك

*و قوم ليس لهم طول بال فى حل مشاكلهم ، فيلجأون إلى أهل السحر و الشعوذة ، لعلهم يجدون عندهم العون و الحل !!

من ثمر الروح

(5)

اللطيف

هكذا قال الكتاب " و أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ، طول أناة لطف . . " . وقد تحدثنا فى الأبواب السابقة عن المحبة و الفرح و السلام ، و نود أن نحدثك الآن عن اللطف . .
قال الرسول عن السيد الرب " . . أم تستهين بغنى لطفة وإمهاله و طول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنها يقتادك إلى التوبة " (رو ٢ : ٤) . إذن من لطف الله أنه يطيل أناته علينا ، لكى بلطفة و طول أناته يقتادنا إلى التوبة . . و يقول الرسول أيضا " حين ظهر لطف الله مخلصنا و إحسانه ، بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى و تجديد الروح القدس " (تى ٣ : ٤ ، ٥) . إذن مغفرة الله التى قدمها لنا فى الفداء والمعمودية هى دليل على لطفة ورحمته و أحسانه . .

اللطف هو من صفات الله فى معاملته للبشر . و هو أيضاً من صفات رسله .

و هكذا قال القديس بولس الرسول فى خدمته للرب هو و جميع العاملين معه " فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير . . فى أتعاب فى أسفار فى أصوام ، فى طهارة فى علم ، فى أناة فى لطف . . " (٢ كو ٦ : ٤ - ٦) .

و دعانا الآباء الرسل إلى السلوك بلطف :

فقال القديس بولس الرسول " كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض " (أف ٤ : ٢٢) . و قال أيضاً " إلبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات و لطفاً و تواضعاً ووداعة و طوال أناة " (٣ : ١٢) . و هنا نلاحظ أن هذه الفضائل ترتبط ببعضها البعض : اللطف مع الواعة و التواضع و الرأفة و طول الأناة .

ويقول القديس بطرس الرسول " كونوا جميعاً متحدين فى رأى ، بحس واحد ، ذوى محبة أخوية ، مشفقين لطفاء ، غير مجازين عن شر بشر ، أو عن شتيمة بشتيمة ، بل بالعكس مباركين " (١ بط ٣ : ٨ ، ٩) .

و لعلنا هنا نسأل : ما هو اللطف و صفاته ؟ و كيف يسلك اللطفا ؟

اللطف هو كل هذه الفضائل التى ذكرها الكتاب مجتمعة . و هو ثمرة طبيعية لحياة الوداعة و الرقة و البشاشة و الإتيضاع ، و البعد عن الخشونة و العنف و القسوة و التعالى . و مادام هو من ثمر الروح ، إذن فهو من ثمر " الروح الوديع الهادى " (١ بط ٣ : ٤) . و هكذا يكون الإنسان اللطيف

هناك أشخاص - للأسف الشديد - يظنون أن الحياة الروحية هي مجرد صلاة و صوم ، بينما بطريقة منفرة في معاملة الآخرين !! و لكننى أقول :

إن لم تكن لطيفاً فى تعاملك ، فأنت شخص غير متدين على الإطلاق .

ذلك لأن اللطف من ثمر الروح كما يقول الكتاب (غل ٥ : ٢٣) . فالذى ليس فى حياته هذا الثمر - أى اللطف - لا يكون إنساناً روحياً ، لأنه لا يسلك بطريقة روحية . كونوا إذن " لطفاء بعضكم نحو بعض " (أف ٤ : ٢٢) .

هذا اللطف نراه فى معاملة الأب مع الابن الضال ، وأخيه الضال الأكبر .

الابن الضال جاء إلى أبيه يطلب منه أن يعطيه نصيبه من الميراث ! فلم ينتهره الأب و لم يقل له : كيف هذا يا ابنى ؟! كيف ترثنى و أنا حى ؟! إنما بكل لطف و هدوء قسم ماله و أعطاه نصيبه . و لما أنفق هذا المال بعيش مسرف ، احتاج و جاع ، و عاد إلى أبيه معترفاً بأنه أخطأ ، قلبه الأب بفرح ، بل لما رآه من بعيد ، و قبل أن يعترف " تحنن الأب ، و ركض و وقع على عنقه و قبله " (لو ١٥ : ٢٠) . و ألبسة الحله الأولى ، يجعل خاتماً فى أصبعه ، و ذبح له العجل المسمن ، و فرح برجوعه . أى لطف هذا فى معاملة .

باللطف لم يكسر نفسه فى رجوعه ، و لم يخجله ، و لم يوبخه .

و أيضاً الابن الأكبر حينما غضب لإكرام أخيه العائد ، ورفض أن يدخل البيت و أن يشترك فى الفرحة بعودة أخيه . و لكنه تمادى و اتهم الأب بالبخل و عدم العدل ، و قال له " ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، و قط لم أتجاوز وصيتك . و جدياً لم تعطنى لأفرح مع أصدقائى . و لكن لما جاء ابنك هذا الذى أكل معيشتك مع الزواني ، ذبحت له العجل المسمن !! " . و لم يغضب الأب لهذا العتاب القاسى بكل ما فيه من أخطاء . و بكل لطف أجابة " يا ابنى أنت معى فى كل حين . و كل مالى فهو لك . و لكن كان ينبغى أن نفرح و نسر ، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش ، و كان ضالاً فوجد " (لو ١٥ : ٢٥ - ٣١) .

لم يحاسبه و لم يعاتبه على اتهاماته له و لأخيه ، و إنما فى لطفه ، رد عليه إيجابياً " أنت ابنى " كل مالى فهو لك " . كان ينبغى أن نفرح .

القلب العامر باللطف لا يوبخ كثيراً . و إن وبخ لا يستخدم كلاماً جارحاً .

و لنا مثال على ذلك موقف سيدنا يسوع المسيح من تلميذه بطرس الذى أنكره ثلاث مرات ، و سب و لعن و قال عنه : لا أعرف الرجل (مت ٢٦ - ٧٤) . فلما التقى به الرب بعد القيامة ، وأراد أن يوبخه على انكاره ، لم يذكره بأنه أنكره ثلاث مرات ، أنه حلف و سب و لعن و قال لا أعرف الرجل ! و إنما قال له ثلاث مرات " يا سمعان بن يونا ، أتحنى أكثر من هؤلاء " . و فى كل مرة يجيب فيها بطرس بعبارة إنى أحبك ، كان يقول له " أرع غنمى " أو " أرع خرافى " . و أحس بطرس بهذا التوبيخ اللطيف و حزن . و قال له " يارب ، أنت تعلم كل شئ . أنت تعرف إنى أحبك " (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) .

حقاً . إن القلب العامر باللطف ، يكسب الناس بلطفه .

لقد استطاع الرب أن يكسب زكا العشار ، و المرأة السامرية ، و الخاطئة المضبوطة فى ذات الفعل ، و تلك التى بللت قدميه بدموعها و مسحتها بشعر رأسها . كل أولئك كسبهم باللطف . عاملهم بلطف . لم يوبخ أحداً منهم ، و لم يستخدم التوبيخ و الكلام القاسى . ما أشد قسوة بعض (المتدينين) فى معاملتهم للخطاة ، أو من يظنونهم خطاة . ! و ما أكثر ما يستخدمون من عبارات جارحة فى توبيخهم ! و يسحبون أن هذا غيره مقدسه منهم و شهادة الحق ! و أنهم يقودونهم بهذا إلى التوبة . و لكن السيد المسيح لم يكن هكذا ، بل قيل عنه :

" لا يخاصم و لا يصيح ، و لا يسمم أحد فى الشوارع صوته . قصبة مروضه لا يقصف ، و فتيلة

مدخنة لا يطفى " (مت ١٢ : ٢٠) (إش ٤٢ : ٣) .

لم يذكر زكا العشار بشئ من كل أخطاء ماضية . بل وسط الزحام ، وقف عنده بالذات ، و ناداه باسمه ، ودعا نفسه أن يدخل بيته و يبني عنده . و لما " تضرع الجميع قائلين إنه دخل ليبيت عند جل خاطئ " . دافع السيد المسيح عن زكا قائلاً إنه هو أيضاً ابن لإبراهيم . و أعلن أنه " اليوم حصل خلاص لهذا البيت " (لو ١٩ : ٥ - ٩) . ترى لو وبخ زكا ، أكان سيكسبه؟! كلا ، بل باللفظ قد كسبه .

فرق كبير بين القسوة التي توبخ الإنسان على خطاياها ، وبين اللطف الذي يجعل الخاطئ من تلقاء ذاته يعترف بخطاياها و يتوب عنها .

و هذا هو ما حدث مع زكا . لم يقل له السيد إنه خاطئ ، بل قد يجعله مستحقاً أن يبيت الرب في بيته ، على الرغم من سمعته الرديئة . و بهذا اللطف قال زكا " ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين . و إنه كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف " (لو ١٩ : ٨) .

و بالمثل في معاملة الرب للسامرية :

لم يوبخها على خطاياها و سيرتها البطالة . و لم يلق عليها درساً في التوبة و العفة . إنما بكل لطف ، حدثها عن الماء الحي ، و عن السجود لله بالروح و الحق (يو ٤ : ١٤ ، ٢٣) زوجها . إنما علاقة ذلك الرجل بها ، علاقة لا توصف إلا بكلمة جارحه لم يسمح الرب أن يقولها لكيلا يخدش شعورها . بل قال " حسنا قلت إنه ليس لك زوج . لأنه كان ذلك خمسة أزواج . و الذي لك الآن ليس زوجك . هذا قلت بالصدق " (يو ٤ : ١٦ - ١٨) .

و هكذا جعل الاعتراف المتعب بين مديحين : سبقه بعبارة مديح هي " حسنا قلت " و ختمه

بعبارة مديح " هذا قلت بالصدق " .

فعلى الرغم من حياتها الخاطئة ، وجد فيها شيئاً يستحق المديح ، فمدحها عليه . و بهذا اللطف اقتادها إلى التوبة ، بل إلى الإيمان أيضاً ، و إلى التبشير بهذا الإيمان . فقالت له المرأة " ياسيد ، أرى أنك نبي " . و ذهبت تبشر به بين شعبها قائلة " تعالوا أنظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت . أعل هذا هو المسيح " (يو ٤ : ٢٩) . و هكذا كسبها المسيح و كل أهل مدينتها إلى الإيمان (يو ٤ : ٤٢) .

و بنفس اللطف عامل السيد الرب المرأة المضبوطة في ذات الفعل .

كان الكتبة و الفريسيون حولها كالوحوش يريدون رجمها ، و يريدون منه أن يوافق على ذلك حسبما تقول الشريعة . أما هو - فبكل لطف - دافع عن هذه المرأة الذليلة الخجلى . و وبخ المطالبين برجمها قائلاً لهم " من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر " (يو ٨ : ٧) . و انحنى إلى أسفل ، و كان يكتب على الأرض " و لعله كان يكتب على الأرض خطايا كل منهم . نعم ، إن كانت هذه المرأة قد ضبطت في ذات الفعل ، فلا بد أنه كان هناك رجل يخطئ معها في ذات الفعل أيضاً . و كما قال الشاعر فؤاد بلبل عن مثل هذه المرأة :

و دعوك بانعة الأثيم من الهوى كذبوا فإن الذنب المشتري

و بعد أن أنقذ السيد هذه المرأة من الذين أدانوها ، و مضوا جميعاً . قال لها " و أنا أيضاً لا أدينك . اذهبي و لا تعودى تخطنى أيضاً .

ما كان ممكناً لهذه المرأة أن تجد شخصاً لطيفاً كهذا ، ينقذها من الرجم ، و يدين طالبى رجمها فينصرفون . و يقول لها " و لا أنا أدينك " .

و بنفس اللطف عامل الخاطئة التي غسلت قدميها بدموعها .

لم يقل لها كلمة واحدة جارحة ، بل قال لها مغفورة لك خطاياك (لو ٧ : ٤٨) . و أظهر لسمعان الفريسي الذي انتقدها إنها أفضل منه ، و أنها قد أحببت كثيراً ، لذلك غفر لها الكثير . و ذكر لها فضائلها . و هكذا فإن الرب بلطفة قد وجد فيها أشياء يمكن إمتداحها بسببها . ثم قال لها أخيراً : " إيمانك قد خلصك . اذهبي بسلام " (لو ٧ : ٥٠)

حقاً إن اللطف يكتشف النقط البيضاء فيمتدحها ، ولا يركز على النقط السوداء

تحضرني بهذه المناسبة قصة مدير مدرسة للطيران . .
كان قد أعد الطلبة للامتحان النهائي العملي للتخرج . و صعد أحد الطلبة بالطائرة ، و إذا بزمامها
يفلت من يده ، بدأت تتأرجح في الهواء بطريقة مخيفة . و شعر قائدها بأنه قد فشل في الامتحان و
لابد سيرفت من المدرسة ، فعلى الأقل فيلنقذ نفسه من الموت . و هكذا جاهد حتى نزل بها إلى
الأرض سالماً . . و اقبل إليه مدير المدرسة ، و قد توقع أن يسمع منه قرار الفصل . و لكن مدير
المدرسة شد على يده بحرارة و هو يهنئه قائلاً " على الرغم من خطورة الموقف ، فإنك نجحت في أن
تنزل بالطائرة سالماً كأمر طيار رأيته في حياتي " . . و بهذا الكلمات اللطيفة ، أدخل الطمأنينة إلى
نفسه . ثم قدم له بعض النصائح . .

إن القلب اللطيف لا يحتقر الضعفاء ن بل يسندهم .

و هكذا يقول الكتاب " شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء . و تأنوا على الجميع " (١ تس ٥ :
١٤) . نعم ، لولا هذه المعاملة من الله لنا ، لهلكنا جميعاً . إنه يقول في مسألة المديونين اللذين على
أحدهما خمسمائة دينار و على الآخر خمسون " و إذ لم يكن لهما ما يوفيانه ، سامحهما جميعاً " (لو
٧ : ١٢) . إنه لم يحتقر أورشليم المدوسة بدمها ، بل غسل عنها دماءها ، و مسحها بالزيت ، يجعل
تاج جمال على رأسها ، فصلحت لملكة " (خر ١٦ : ٦ - ١٣)

بل إن الرب يعذر المخطئين - بلطفة - و يوجد لبعضهم عذراً .

التلاميذ الثلاثة الذين كانوا في بستان جثسيماني ، و لم يستطيعوا ان يسهروا معه ساعة واحدة
عذرهم قائلاً " أما الروح فنشيط . و أما الجسد فضعيف " (مت ٢٦ : ٤١) . فعلى الرغم من
نومهم ، قال لهم بلطفة : أما الروح فنشيط . و التمس لهم عذراً من جهة ضعف الجسد . .
و في (مزمور ١٠٣) يقول الكتاب عن لطف الله و تحننه " لم يصنع معنا حسب خطايانا ، و لم
يجازنا حسب آثامنا " لماذا ؟ " لأنه يعرف جبلتنا . يذكر أننا تراب نحن " و بنفس اللطف تصلى
الكنيسة في أوشية الراقدين ، تطلب لهم الرحمة " إذ لبسوا جسداً ، و سكنوا في هذا العالم . . " .
إن الله بلطفة ، يقدر ظروف الناس ، و طبيعتهم الضعيفة ، فيغفر . . إنهم مجرد تراب ، أثارتهم الريح
، فتحولوا إلى غبار في الجو . يصبر عليهم بعض الوقت ، حتى تهدأ الريح ، فيستقرون . .

الله في لطفة ، يسمم لأولاده أن يعاتبوه أو يجادلوه . و قد يشندون في كلامهم ، فلا يغضب . و

إنما بكل لطف يعطيهم فرصة للتعبير عما في داخلهم بكل حرية .

ما أعجب أن يقول له إبراهيم أبو الآباء - في شفاعته عن سادوم - " أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً
؟ ! حاشا لك يا رب أن تفعل هذا الأمر : أن تميت البار مع الأثيم . فيكون البار كالأثيم ! حاشا لك " (
تك ١٨ : ٢٥) . ثم يبدأ التفاوض . إن وجد في المدينة خمسون باراً . . إن وجد ٤٥ . . إن وجد
أربعون . . حتى و صل التفاهم إن وجد عشرة ابرار ، لا يهلك الله المدينة من أجل العشرة (تك ١٨ :
٢٦ - ٣٢) . كل هذا و الرب في لطف شديد يتلقى مفاوضة إبراهيم ، و يفسح له المجال إلى آخر
حد ، حتى توقف . .

نفس اللطف في تشفع موسى إلى الله لأجل الشعب

كانوا قد عبدوا العجل الذهبي الذي صنعه ، بعد كل المعجزات التي رأوها من الرب في مصر و في
البرية . . و غضب عليهم الرب حتى أراد أن يفتنيهم . و هنا تدخل موسى ليشفع فيهم . فقال للرب :
لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك ؟ ! لماذا يقولون أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال و يفنيهم على
وجه الأرض . أرجع عن حمو غضبك و اندم على الشر (خر ٣٢ : ١١ ، ١٢) . و يسمع الرب هذا
الكلام ، و لا يتضايق بل يعفو . .

و ارميا النبي يقول : أبر أنت يا رب من أن أخاصمك . و لكني اكلمك من جهة أحكامك . لماذا

تنجم طريق الأشرار . إطمأن كل الغادرين غداً (أر ١٣ : ١) .

لم يقل الله : من هو هذا التراب ، حتى يكلمنى من جهة أحكامى؟! بل كيف ينسب إلى نجاح طرق الأشرار ، أو حتى السكوت على ذلك !! .. إنما استمع له فى لطف وأراحه ..

ظهر لطف الله أيضاً فى معاملة يونان النبى •

لم يرفضه بسبب عصيانه له ، بل اقتاده إلى الطاعة بحكمة ، و انقذه من بطن الحوت ، و أعاده إلى رسالته فى انذار نينوى • و لما تاب نينوى و لم يعاقبها الله " و غم ذلك يونان غمّاً شديداً فاغتاظ " و طلب لنفسه الموت • عاتبه الله بلطف قائلاً هل اغتظت بالصواب؟! (يو ٤ : ١ ، ٤) • و اجتذبه بما حدث لليقطينة • و شرح له لماذا قبل توبة نينوى •

حقاً إنه بالعنف قد يخسر الشخص أحبائه ، بينما باللطف يكسب أعداءه • هنا و اقول إن للطف حدوداً • فإن لم يوصل إلى هدفه تبدأ العقوبة •

و هكذا يقول الرسول " هوذا لطف الله و صرامته • أما الصرامة فعلى الذين سقطوا • أما اللطف فلك ، إن ثبت فى اللطف • و إلا فأنت أيضاً ستقطع " (رو ١١ : ٢٢) • و فى هذا المجال نذكر مثل تلك الشجرة التى لم تعط ثمراً على مدى ثلاث سنوات و هى تبطل الأرض • فلما أراد الكرام قطعها ، قال صاحب الكرم فى لطف " اتركها هذه السنة أيضاً ، حتى أنقب حولها و أضع زبلاً • و إن صنعت ثمراً ، و إلا ففيما بعد نقطعها " (لو ١٣ : ٦ - ٩) • اللطف فى تركها هذه السنة أيضاً " و الصرامة هى فى قوله " و إلا ففيما بعد نقطعها " •

من ثمر الروح

(6)

الصلاح

نتابع حديثنا عن ثمر الروح كما ورد (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . فنتحدث عن الصلاح . ولكن كيف يمكن أن يتصف إنسان بالصلاح ، بينما يقول الكتاب " ليس أحد صالحاً إلا واحد و هو الله " (مت ١٩ : ١٧) ؟!

المقصود طبعاً هو صلاح النسبى ، ليس الصلاح المطلقة الذى هو من صفات الله وحده .

و المقصود بالصلاح النسبى ، أية نسبة لمدى عمل الروح القدس فى الإنسان ، و مدى إستجابة الإنسان لعمل الروح و شركته مع الروح القدس . تماماً مثلما نفسر قول الرب " كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) بأن المقصود هو الكمال المطلق هو من صفات الله وحده .

و حينما نتكلم عن الصلاح ، نذكر أنه على نوعين : صلاح سلبى ، وصلاح إيجابى .

الصلاح السلبى هو البعد عن الخطايا ، و تمثله غالبية الوصايا العشر ، مثل : لا تكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً . لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً . لا تقتل . لا تزنى . لا تسرق . لا تشتهه مال قريبك .

أما الصلاح الإيجابى ، فتمثله التطويبات فى العهد الجديد : طوبى للمساكين بالروح ، للودعاء ، لأنقياء القلب ، لصانعى السلام ، للرحماء . و يمثله فى العهد القديم : " تحب الرب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك و من كل قوتك " (تث ٦ : ٥) . و تمثله أيضاً ثمار الروح التى نتحدث عنها و المطلوب من الإنسان أن يسلك فى الأمرين معاً : البعد عن كل أنواع الخطايا من الناحية السلبية و السلوك فى كل الفضائل إيجابياً .

الإنسان الذى يصل إلى كمال الصلاح، يشمئز من الخطية و ينفر منها فإن قل صلاحه ، يكون بينه

و بين الخطية أخذ ورد . أما إن فقد صلاحه . فإنه يلتذ بالخطية و يستسلم لها ، بل قد يسعى

إليها

إذن لكى يحيا الإنسان فى حياة الصلاح ، ينبغى أن يصل إلى المرحلة التى ينفر فيها من الخطية ، كما قال يوسف الصديق " كيف افعل هذا الشر العظيم ، و أخطئ إلى الله ؟! " (تك ٣٩ : ٩) . و يعبر عن هذا أيضاً قول القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى أن المولود من الله لا يستطيع أن يخطئ (١ يو ٣ : ٩) . و فعلاً ، هناك أشياء لا يستطيع الإنسان الروحى أن يفعلها . لا يستطيع أن يلفظ كلمة نابية بذينة ، لا يستطيع أن يكذب بل إنه يحتقر نفسه إن فعل ذلك . لا يستطيع أن يقوم بأى عمل غير مهذب . و بالتالى كلما نما فى الصلاح يجد أنه عموماً لا يستطيع أن يخطئ .

هناك عيب من جهة السلوك فى الصلاح أن يحكم الإنسان على بعض الخطايا بأنها خطايا بسيطة

!! فينتسأول معها !!

الخطية هي الخطية سواء حكم عليها الشخص بأنها بسيطة أو كبيرة . و هكذا يقول الرب : من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم (مت ٥ : ٢٢) . هكذا فى باقى خطايا اللسان ، يقول " بكلامك تتبرر ، و بكلامك تدان " (مت ١٢ : ٣٧) .
حقا ، إنه توجد خطية ابشع من الخطية . و لكن كلاً منها تتنافى مع الصلاح . الإنسان الصالح لا يرتكب هذه و لا تلك . فالرسول يأمرنا أن نسلك بتدقيق (أف ٥ : ١٥)

ما معنى أن الصلاح من ثمر الروح ؟

له بلاشك معنى مزدوج . فهو من ثمر عمل الروح القدس فى قلب الإنسان . و من ثمر روح الإنسان فى إستجابتها لعمل الروح القدس فيها . أو هو ثمر لشركة الروح القدس ، أى لمشاركة روح الإنسان لروح الله القدوس ، فى الرغبة و فى العمل .

ماذا إذن عن صراع الإنسان مع الخطية ؟

هل نقول عن مثل هذا الإنسان إنه صالح ؟ إن القديس بولس الرسول يدعو إلى هذا الصراع ، و يسميه جهاداً . فيلوم العبرانيين قائلاً " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) . إذن فالصراع ضد الخطية أمر صالح يقود إلى الصلاح ، حينما ينتصر الإنسان على الخطية ، و يصل إلى محبة الخير التى لا تحتاج إلى صراع .

على أننا ينبغى أن نفرق بين نوعين من الصراع

صراع ضد خطية تحاربه من الخارج . و هذا يحدث للقديسين من حسد الشيطان و حروبه . وهو صراع لا يتنافى مع الصلاح ، بل أنه يدل على صلاح الإنسان ، و عدم قبوله الخطية التى تحاربه . المهم أنه لا يستسلم ، بل يقاوم حتى الدم مجاهداً ضد الخطية النوع الثانى من الصراع ايصارع الإنسان ضد خطية تأتية من داخله ، من قلبه ، من فكره ، من مشاعره . و هذا يدل على أن الداخل لم يصل إلى النقاوة بعد . لم يصل إلى الصلاح بعد ، بل يجاهد لكي يصل إليه . إنه صراع صالح ، من قلب يريد أن يكون صالحاً . الخطية بشعة ، الأبرار يشتمنون منها . لذلك يحترس الخاطئ من ارتكابها أمام الصالحين . بل يرتكبها فى الظلام ، فى الخفاء .

فإن كان الصالحون يشتمنون من الخطية ، فكم بالأكثر الملائكة !

لذلك حينما ترتكب الخطية ، كأنما تطرد الملائكة من حولك ، أو على الأقل الملاك الحارس ، الذى " فى مجلس المستهزين لا يجلس . إنه يحاول أن يصدك عن الخطية ، فإن اصررت عليها ، يبتعد عنك . و حينئذ ينفرد بك عدو الخير . فإن كانت الخطية بشعة هكذا أمام الأبرار و أما الملائكة ، فكم بالأكثر تكون بشعة أمام الله الكلى القداسة !!

لذلك من بشاعة الخطية ، أننا نرتكبها أمام الله .

و هكذا يقول داود النبى فى المزمور الخمسين مزمور التوبة : يقول الله " إليك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت " إذن فهى ليست فقط خطية أما الله ، إنما بالأكثر خطية إلى الله . خطية نحزن بها روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) . و لأنها خطية ضد الله ، لذلك قال يوسف الصديق " كيف افعل هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله " (تك ٣٩ : ٩) .

إذن فالإنسان الصالح ينفر من الخطية لأنه يوقن أنه بها يخطئ إلى الله ، و يخطئ قدام الله ، و

يخزن روح الله .

قطعاً إن الإنسان - اثناء ارتكابه للخطية - يكون قد نسي أنه أمام الله ، الذى يراه و هو يرتكب الخطية . لذلك فإن داود النبى قال للرب عن أمثال هؤلاء الخطاة " لم يجعلوا الله أمامهم " (مز ٥٤ : ٣) . هؤلاء صنعوا الشر أمام الله و لم يبالوا ، أو أنهم لم يسبقوا أن يجعلوا الله أمامهم . أما الإنسان الصالح ، فإن الله أمامه باستمرار ، يخشى أن يخطئ قدامه . ما أعظم قول إيليا النبى " حتى هو رب الجنود الذى أنا واقف قدامه " (مل ١٨ : ١٥) .

لذلك فالذى يقول " اعترف بخطاياى أمام الله مباشرة " ! قد نسى أنه ارتكب تلك الخطايا أمام الله و لم يخجل ! فالأفضل له الإعتراف بها أمام الكاهن ، لكى يخجل منه فلا يعود إلى ارتكابها .

هناك أناس يفقدون صلاحهم ، لأنهم يستغلون طيبة الله بطريقة خاطئة .

إن طيبة الله ، ينبغى أن يوضع أمامها صلاح الله و قداسة الله ، و دعوته لنا إلى حياة القداسة و البر . بل ينبغى أن يتذكر هؤلاء قول الرسول " أم تستهين بغنى لطفة و إمهاله و طول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ! و لكنك من أجل قساوتك و قلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب . " (رو ٢ : ٤ ، ٥) .

إن الله من أجل محبته للصلام ، و قيادتنا إلى الصلام ، وضع أمامنا إمكانيات كثيرة نقودنا إلى

الصلام منها :

* أولاً خلقنا على صورته و مثاله ، فى البر و الصلاح ، و العقل و الفهم و الحكمة . و لما فقدنا بالخطية هذه الصورة الإلهية ، قدمها لنا فى شخص الرب يسوع المسيح " الذى كما سلك ذاك ، ينبغى أن نسلك نحن أيضاً " (١ يو ٢ : ٦) . طبعاً العمل الأساسى للتجسد الإلهى هو الفداء ، و لكن من الأغراض الإضافية تقديم الصورة الإلهية و القدوة المثالية للإنسان .

*** أيضاً لما فسدت طبيعتنا البشرية ، قدم لنا تجديد فى المعمودية**

فيها يصلب الإنسان العتيق ، و يقوم إنسان جديد على صورة الله ، لكيما نسلك فى جدة الحياة (رو ٦ : ٤ ، ٦) . شخص جديد يخرج من جرن المعمودية مولوداً من الماء و الروح . و ما أجمل و أعمق قول القديس بولس الرسول فى هذا " لأن جميعكم الذين إعتدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح " (غل ٣ : ٢٧) أى لبستم البر الذى فى المسيح . كل هذا يقدمه لنا ، لكى نستطيع أن نسلك فى الصلاح .

*** و أيضاً لنسلك فى الصلام ، جعلنا هياكل لروحه القدس :**

و هكذا قال الكتاب " أما تعلمون أنكم هيكل الله ، و روح الله يسكن فيكم " (١ كو ٣ : ١٦) . تنال هذا بالمسحة المقدسة فى سر الميرون . فيحل روح الله فى داخلك . و يكرر الرسول نفس المعنى فى نفس الرسالة فيقول " أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، و أنكم لستم لأنفسكم " (١ كو ٦ : ١٩) . هذا الروح القدس الذى فيك " يبيتك على خطية . و يرشدك إلى جميع الحق " (١ يو ١٦ : ٨ ، ١٣) . و يعلمك كل شئ ، و يذكرنا بكل ما قاله الرب (١ يو ١٤ : ٢٦) . و هكذا يساعدك على عمل الخير ، و يقودك إلى حياة الصلاح . و ماذا أيضاً

*** ارسل الله لك نعمته ، لكى تعينك على الخير و الصلام .**

و هذه النعمة ضمن البركة التى تختم بها الكنيسة كل اجتماع . فنقول " محبة الله الأب و نعمة ابنه الوحيد و شركة الروح ، تكون مع جميعكم " (١ كو ١٣ : ١٤) . و نلاحظ أن كثيراً من رسائل القديس بولس الرسول تبدأ بهذه النعمة أو تنتهى بها . فيقول " نعمة لكم و سلام من الله أبينا . " (١ كو ١ : ٣) فى بداية رسالته الأولى إلى كورنثوس . و يختتمها أيضاً بعبارة " نعمة الرب يسوع المسيح معكم " (١ كو ١٦ : ٢٣) . و هكذا فى باقى الرسائل .

هذه النعمة لا تقودك فقط إلى صلام نفسك ، إنما تساعد أيضاً فى الخدمة لأجل صلام الآخرين .

و هكذا يقول القديس بولس الرسول " و لكن بنعمة الله ، أنا ما أنا . و نعمته المعطاة لى لم تكن باطلة . بل أنا تعبت أكثر من جميعهم . و لكن لا أنا ، بل نعمة الله التى معى " (١ كو ١٥ : ١٠)

فلا تنس كل هذه الإمكانيات ، و تقول طريق الصلام صعب .

حقاً إن البابا الموصل إلى الملكوت هو باب ضيق (مت ٧ : ١٤) " و بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله " (أع ١٤ : ٢٢) . و لكن نعمة الله قادرة أن توصلنا إلى كمال الحياة مع الله . كما قال

القديس بولس الرسول إلى رعاة كنيسة افسس " و الآن استودعكم يا أخوتي الله و لكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم و تعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين " (أع ٢٠ : ٣٢) .

***الرب يسوع المسيح نفسه معنا ، يعيننا في طريقة ***

إنه يقول " ها أنا معكم كل الأيام و إلى إنقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ٢٠) . و مادام يقول " بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو ١٥ : ٥) . إذن اطلب منه القوة لكي تكون إنساناً صالحاً . قل له " توبني فأتوب " (أر ٣١ : ١٨) . ألم يقل : اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم " (مت ٧ : ٧)

***أيضاً من أجل قيادتنا إلى الصلاح ، أوجد الله فينا الضمير ***

الضمير صوت من الله فينا : يحكم و يشرع ، يوبخ و يؤنب ، ويقود إلى الخير ، و يمنعنا من الخطأ . و إن استنار الضمير بالروح القدس الذي فيك ، فإنه يكون مرشداً قوياً إلى الصلاح ، و رادعاً عن الشر . هذا إذا أطاع الإنسان ضميره . .

و من أجل الصلاح ايضاً ، أعطانا الرب الوصايا *

هذه التي يقول عنها داود النبي " وصية الرب مضيئة ، تنير العينين عن بعد " (مز ١٩) " و تصير الجاهل حكيماً " و أيضاً " سراج لرجلي كلامك ، و نور لسبيلي " (مز ١١٩ : ١٠٥) . فالذي يحرص على أن يسلك في طريق الصلاح ، عليه أن يتمسك بكلمة الله التي تهديه . كما قال الله ليشوع بن نون " لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك . بل تلهج فيها نهاراً و ليلاً ، لكي تحفظ للعمل بكل ما هو مكتوب فيه . لأنك حينئذ تصلح طريقك ، و حينئذ تفلح " (يش ١ : ٨) و هكذا يقول الرسول " لأن كل الكتاب موحى به من الله ، و نافع للتعليم و التوبيخ ، للتقويم و التأديب الذي في البر . لكي يكون إنسان الله كاملاً ، متأهباً لكل عمل صالح " (٢ تي ٣ : ١٦ ، ١٧) .

*** و من أجل الصلاح ، أرسل لنا الله الأنبياء و الرعاة و المرشدين ***

أرسل ، أعطاهم خدمة المصالحة لكي ينادوا أن أصطلحوا مع الله (٢ كو ٥ : ١٨ ، ٢٠) . و قال لنا " أطيعوا مرشديكم و اخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم " (عب ١٣ : ١٧) . و أعطانا الله الآباء الروحيين ، الرعاة و الكهنة كل هؤلاء لقيادتنا إلى الصلاح . .

***و من أجل أن نشتناق إلى هذا الصلاح ، قدم لنا و عوداً جميلة ***

" من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة " " أن يأكل من المن المخفى " " من يغلب فسأعطيه اسماً جديداً " " و يلبس ثياباً بيضاء " و يجلس معي في عرشي ، كما غلبت أنا و جاست مع أبي في عرشه " (رؤ ٢ ، ٣) . و أيضاً وعدنا بما لم تره عين ، و لم تسمع به أذن ، و لم يخطر على قلب بشر " (كو ٢ : ٩) .

***فإن لم ينفع معنا كل ما ذكرناه ، أوجد الله العقوبة ***

ذلك لأن هناك نوعاً من الناس لا يقودهم إلى الصلاح ، إلا الخوف . على الأقل في بداية الطريق . كما قيل " بدء الحكمة مخافة الله " (أم ٩ : ١٠) . و كما قال الرسول " ارحموا البعض مميزين . و خلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار . . " (يه ٢٢ : ٢٣) . و العقوبة موجودة من بدء خلق الإنسان ، منذ خطيئة آدم و حواء (تك ٣) . و له أمثلة كثيرة في العهد القديم . و في العهد الجديد أيضاً مثلما حدث في خطيئة حنانيا و سفير الذي قيل بعد معاقبتهما " فصار خوف على جميع الكنيسة و على جميع الذين سمعوا بذلك " (أع ٥ : ١١) . مثل معاقبة بولس الرسول لخاطي كورنثوس . (١ كو ٥ : ٥) . ليس إنتقاماً و إنما " لكي تخلص الروح في يوم الرب " .

نشكر الله أنه لم يأخذنا ، و نحن في ساعة غفلة ، في خطايانا *

و إنما سمح أن نحيا حتى هذه اللحظة ، معطياً لنا فرصة حتى نتوب و نسلك في حياة صالحة كما ينبغي ، و لا نقع تحت دينونة . . هوذا الرسول يقول " لا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع ،

السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو ٨ : ١) . و السلوك حسب الروح هو الصلاح . أما السلوك حسب الجسد فهو الفساد . ذلك يقول الرسول أيضاً :

" الذي يزرعه الإنسان ، إياه يحصد أيضاً . لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً . و من

يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية " (غل ٦ : ٧ ، ٨) .

هذا هو إذن ثمر الروح : صلاح هنا . و حياة أبدية في العالم الآخر . لأن ملكوت السموات لا يدخله إلا الصالحون . أورشليم السمائية لن بدخلها دنس و لا رجس (رو ٢١ : ٢٧)

من ثمر الروح

(7)

الإيمان

الذى يحيا حياة روحية ، لابد أن يتصف بالإيمان .
فقد ورد فى الكتاب أن من ثمر الروح : الإيمان (غل ٥ : ٢٣) . كما ذكر الإيمان أيضاً ضمن مواهب الروح القدس (١ كو ١٢ : ٩) .

ولسنا نقصد هنا الإيمان بمعناه السطحي أو النظرى .

فالإيمان بمعناه الروحى يشمل الحياة كلها ، كما سنرى . هذا هو الإيمان العملى . أما الإيمان النظرى ، فيشبه إيمان الشياطين ، كما قيل " أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون و يقشعرون " (يع ٢ : ١٩) . يؤمنون بوجود الله ، و يقاومونه . لهذا فإنهم يقشعرون منه .

هناك إيمان فى العقيدة ، و إيمان فى ممارسات الحياة العملية .

أشخاص يظنون أنهم مؤمنون ، لمجرد أنهم يتلون قانون الإيمان فى الكنيسة . و قد تكون حياتهم بعيدة كل البعد عن الإيمان !! . إنما الإيمان الحقيقى ، هو الذى يظهر واضحاً فى حياتنا العملية ، فى ممارستنا ، فى علاقاتنا بالله و الناس .

هذا هو الإيمان العملى .

فالإنسان يظهر إيمانه فى أعماله . كما يقول الكتاب " و أنا أريك بأعمالى إيمانى " (يع ٢ : ١٨) . و لذلك قيل فى الكتاب أكثر مرة " الإيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢ : ١٧ ، ٢٠) .

المطلوب إذن هو الإيمان الحى المثمر :

إن كان إيمانك حياً ، فلابد أن تظهر ثماره فى حياتك . " لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع و تلقى فى النار " (لو ٣ : ٩) . هكذا يقول الرسول " لا الختان ينفع شيئاً و لا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة " (غل ٥ : ٦) . و المحبة عبارة عن برنامج روحى طويل ، يضم فضائل عديدة ذكرها فى (ذكرها فى (١ كو ١٣) .

فكيف يظهر الإيمان و ثمره فى حياتنا العملية ؟

هذا موضوع طويل ، يدخل فى تفاصيل تفاصيل حياتنا حتى يشمل حياتنا كلها . و كيف ذلك ؟ هذا ما نود الآن شرحه ، سواء من جهة مشاعر قلوبنا ، أو من جهة علاقاتنا مع الله و الناس . و لنضرب لذلك أمثلة :

*إن كنت تؤمن أن الله كل مكان و يراك و يسمعك ، لا يمكن أن تخطئ .
لأنك سوف تستحى و تخجل من الله الذى يراك و أنت فى حالة الخطية . بل تستحى أيضاً من الملائكة الذين يرونك و من أرواح القديسين ، كما تستحى أن تفعل الخطية أمام البشر الذين يرونك على الأرض .
فعدم خجلك يدل على أن إيمانك بوجود الله ورويته لك أثناء الخطية ، هو إيمان ضعيف ، أو غير موجود .
عكس ذلك يوسف الصديق الذى رفض أن يخطئ قائلاً : كيف أفعل هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله ؟! (تك ٣٩ : ٩)

***أيضاً الذى يؤمن بالله ورعايته وقوته العاملة ، لا يخاف فالخوف هو دليل على ضعف الإيمان .**

لذلك فإن بطرس الرسول ، لما خاف من الأمواج ووقع فى الماء قال له الرب " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت " (مت ١٤ : ٣١) .

و جبحزى كان خائفاً من قوات العدو المحيطة بالمدينة . أما معلمنا أليشع النبى فكان يرى أجناد الرب التى تدافع عنها ، لذلك صلى من أجله قائلاً " افتح يا رب عيني الغلام فيرى . " (٢مل ٦ : ١٧) . نعم ، بالإيمان يرى ، وليس فقط بالعيان . فيطمئن أن الذين معنا أكثر من الذين علينا . هذا الإيمان الذى لا يخاف ، قال عنه داود النبى فى مزمور الراعى " إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى " (مز ٢٢ [٢٣]) . وقال فى مزمور آخر " تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أترزعزع " (مز ١٦ : ٨) .

نعم ، إن آمنت أن الرب معك فلن تخاف .

و إن آمنت أنه أمامك فى كل حين وأنه عن يمينك ، فلا تتزعزع . بل تقول مع المرتل " إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . و إن قام على قتال ، ففى ذلك أنا مطمئن " (مز ٢٧ : ٣) . إن كثيرين - لعدم إيمانهم - ليسوا فقط يخافون ، بل يصل بهم القلق و الإضطراب إلى حد اليأس . أما المؤمن فإنه يثق أن قوة الله معه ، ويثق بقول الكتاب :

" كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٨ : ٢٤) .

حقاً إن هذه عبارة عجيبة و معزية . أننا نؤمن أن الله هو الذى " يستطيع كل شئ و لا يعسر عليه أمر " (أى ٤٢ : ١) . أما إن كل شئ مستطاع للمؤمن ، فهذا أمر عميق و مذهل ، يعطينا فكرة عن قوة الإيمان و فاعليته ، و يذكرنا بقول القديس بولس الرسول :

" استطاع كل شئ ، فى المسيح الذى يقوينى " (فى ٤ : ١٣) .

إذن الإيمان هو قوة . و هو يقوى الإنسان باستمرار ، فلا يخاف و لا يضطرب و لا يقلق و لا ييأس . و مصدر قوته هو الله الذى يقويه . لذلك يقول المرتل فى المزمور " قوتى و تسبحتى هو الرب ، و قد صار لى خلاصاً " (مز ١١٧ : ١٤) .

*** و لهذا فإن الإيمان يصحبه السلام أيضاً : السلام الداخلى و السلام مع الله .**

و هكذا يقول الرسول " إذ قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله " (رو ٥ : ١) . لنا سلام مع الله ، إذ نؤمن أن الرب قد حمل كل خطايانا على الصليب ، و أننا " متبررون الآن بدمه " و قد صولحنا مع الله بموت ابنه " (رو ٥ : ٩ ، ١٠) . لأن " الله كان فى المسيح مصالحاً للعالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم " (٢كو ٥ : ١٩) .

*** و بهذا الإيمان و هذا السلام ، يكون لنا الفرح .**

لذلك فالمؤمنون دائماً فرحون . فرحون لأنهم يؤمنون برعاية الرب لهم ، و لأنهم يؤمنون أن هذا الله الذى يرعاهم هو قادر على كل شئ ، و أنه أب حنون : فى احتياجهم يعطى ، و فى توبتهم يغفر ، و فى حمايتهم يقدر و يخلص . حتى إن أصابتهم ضيقة ، و بدأ من الخارج أنهم فى كرب ، يقولون مع الرسول " كحزانى و نحن دائماً فرحون " (٢كو ٦ : ١٠) . و هكذا يقول الرسول لهؤلاء المؤمنين " افرحوا فى الرب كل حين ، أقول أيضاً افرحوا " (فى ٤ : ٤) . ألا يبدو أن ثمار الروح مترابطة ، الفرح و السلام و الإيمان .

*** إن الإيمان ضد الشك . فالمؤمن لا يشك .**

و الشك يدل على ضعف الإيمان . و الرب قد ربط بين الأمرين حينما قال للقديس بطرس " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟! " (مت ١٤ : ٣١) . ما أكثر ما يقع البعض فى الشك ، لضعف إيمانهم !! قد يصلون ، و يخيل إليهم أن الله لم يستجب صلاتهم ، أو تباطأ فى الإستجابة . فيشكون . و قد يدركهم الشك فى محبة الله و فى رحمته ، إن وقعوا فى ضيقة ، أو فى مرض أو فى مشكلة أو مات أحد الذين يحبونه ! وقد يقع إنسان فى شك من جهة العقيدة ، إن قرأ كتاباً أو مقالاً ضد الإيمان ، و كان هو ضعيفاً فى إيمانه !

لذلك فالإيمان الحقيقي ، هو إيمان ثابت لا يتزعزع •

إيمان فى كل وقت ، و كل حين ، مهما كانت الظروف ، و مهما صادقة الضيقات أو المتاعب • •
أنظروا ماذا يقول الرسول المختبر : " كونوا راسخين غير متزعزعين ، أكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب " (١ كو ١٥ : ٥٨) • فلنتذكر هذه العبارة و نضعها أمامنا باستمرار : كونوا راسخين غير متزعزعين • •

لا نؤمن فقط بالله ، إنما بعمل الله فىنا و معنا •

نؤمن أن الله دائماً يعمل • و أنه يعمل معنا كأفراد و جماعات • يعمل الكنيسة و مع المجتمع و مع العالم كله • و يعمل لخيرنا • و فى ذلك نؤمن بيد الله فى الأحداث • و أن " كل الأشياء تعمل معنا للخير ، للذين يحبون الله " (رو ٨ : ٢٨) • و هذا الإيمان يمنحنا سلاماً و اطمئناناً •

و مع ذلك ، فالإيمان على درجات •

ليست درجة الإيمان واحدة عند كل الناس • و لا درجة الإيمان واحدة عند نفس الشخص فى كافة مراحل حياته فقد يقوى حيناً ، و يضعف فى حين آخر • و إيمان المبتدئين غير إيمان الكاملين • إن أبا الرجل المصروع من الشيطان ، لما سأله الرب عن إيمانه " (مر ٩ : ٢٤)
و هناك إيمان قوى يصنع المعجزات • و إيمان كامل قال عنه الرسول " إن كان لك كل إيمان حتى تنقل الجبال • • " (١ كو ١٣ : ٢٠) • على أن الإيمان كأية فضيلة يمكن أن ينمو و أن يقوى • •
إن بطرس الرسول الذى ضعف إيمانه أمام جارية أثناء محاكمة المسيح (مت ٢٦ : ٧٠) • عاد فقوى إيمانه بعد حلول الروح القدس • و قال بكل شجاعة " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ٢٩)

لقد عرف الرسول الإيمان بأنه الثقة بما يرجى ، و الإيقان بأمر لا ترى " (عب ١١ : ١)

فنحن نؤمن بوجود الله ، و الله لا يرى و نؤمن أيضاً بوجود الأرواح و كلها كائنات لا ترى بعيوننا المجردة • و هذا هو الفرق بين الإيمان و العيان • • كذلك نحن نؤمن بالنعمة غير المنظورة التى ننالها من خلال أسرار الكنيسة المقدسة ، و كلها أمور لا ترى • و مع ذلك نحن نوقن بذلك كل الإيقان •

على أن للإيمان علامات تظهره و تدل عليه •

فالمؤمن إنسان بعيد عن الكبرياء و التعالى • الآن الذى بوجود الله ، لا يستطيع أن يسلك فى كبرياء أمام الله ، بل يدرك يقيناً أنه مجرد تراب و رماد (تك ١٨ : ٢٧) •

و من هنا كان خشوع المؤمن فى صلاته •

و كذلك ما فى الصلاة من ركوع و سجود ، و ما يسميه القديسون " الزى الحسن فى الصلاة " حيث يقف و كأنه أمام عمود من نار • و هكذا نقول فى القداس الإلهى " قفوا بخوف أمام الله ، و انصتوا لسماع الإنجيل المقدس " " اسجدوا لله بخوف و رعدة " • •
أما الذى يقف متخادلاً متكاسلاً فى صلاته ، يلتفت أثناءها هنا و هناك ، أو يسرح فى أمور عديدة ، فهذا يدل على أنه غير مؤمن أنه واقف أمام الله • •

كذلك هناك فرق بين صلاة بإيمان ، و صلاة بغير إيمان •

المؤمن يثق تماماً أن صلاته قد وصلت إلى الله ، و أن الله قد سمعها و أنه سوف يستجيب • و يؤمن أن الله لابد سيعمل • و هكذا نرى أن داود النبى تبدأ بعض مزاميره بالطلب ، بينما تنتهى بعبارات الاستجابة • فنراه مثلاً يختم المزمور السادس بعبارة يقول فيها " ابعادوا عني يا جميع فاعلى الإثم • لأن الرب قد سمع صوتى بكائى • الرب سمع تضرعى • الرب لصلاتى قبل " (مز ٦) • نقط أخرى نقولها فى علامات الإيمان ودلالاته :

أنت تؤمن أن الله هو الحق ن كما يقول " أنا هو الطريق و الحق و الحياة " (يو ١٤ : ٦) • فهل تؤمن بالحق مادمت تؤمن بالله ؟

إن كنت تؤمن بالحق ، لأنك تؤمن بالله الذى هو الحق ، فهل تسلك فى الحق ، وهل تدافع عن الحق

إن السلوك فى الباطل هو لون من ضعف الإيمان بالله لأن البعد عن الحق هو البعد عن الله .
كذلك الذى يؤمن بأن الله هو النور (يو ٨ : ١٣) . فهل تؤمن بالنور ، أم تسلك فى الظلمة ؟! كيف فى الظلمة بينما أنت تؤمن بالنور ؟! و الرب يقول " أنا هو نور العالم . من يتبعنى ، فلا يسلك فى الظلمة " (يو ٨ : ١٢) .

كذلك إن كنت تؤمن بالأبدية ، فلا بد أن تستعد لها .

و مادمت تستعد ، فلا يمكن أن تشتت الأمور التى فى هذا العالم ، لأن محبة العالم عداوة لله " كما يقول الكتاب (يع ٤ : ٤) . " أن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب " (١ يو ٢ : ١٥) . إذن فالذى يسلك فى محبة العالم و شهواته ، ليس هو مؤمناً بالحقيقة . و إلا كان متناقضاً مع نفسه .

كذلك إن كنت تؤمن بأن جسدك هو هيكل الله ، فهل من المعقول أن تنجسه و تدنسه ؟!

يقول الرسول " أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس ، الذى هو أنتم " (١ كو ٣ : ١٦ ، ١٧) و يقول أيضاً " أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، و أنكم لستم لأنفسكم " (١ كو ٦ : ١٩) .

إذن فالذى يفسد جسده لا يؤمن أن جسده هو هيكل الله . و لا يؤمن أن الروح القدس ساكن فيه . و بنفس المنطق من يفسد جسد مؤمنه هى أيضاً هيكل للروح القدس .

من هنا نرى أن كلمة الإيمان لها معنى كبير واسع ، يشمل الحياة كلها . لهذا يقول الرسول : "

اختبروا أنفسكم هل أنت فى الإيمان . امتحوا أنفسكم " (١ كو ١٣ : ٥) .

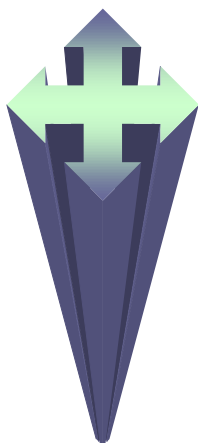
و من الوسائل التى يختبر بها الإيمان الضيقة : فهناك أشخاص يضعف إيمانهم أو يضعف فى الضيقة . بينما غيرهم يثبتون فى الإيمان على الرغم من الضيقات . مثال ذلك القديسون الشهداء و المعترفون الذين تعرضوا لكل ألوان التعذيب و لكنهم ثبتوا فى إيمانهم ، و تعرضوا للإيذاء و للتهديد و ظلوا ثابتين فى إيمانهم . و كما يختبر الإيمان فى الضيقة ، كذلك يختبر بالشكوك .

و كما يختبر الإيمان فى الضيقة ، كذلك يختبر بالشكوك .

فالذين وضعوا أرجلهم فى البحر الأحمر و عبروا ، ما كان عندهم شك ، بينما المياه و الأمواج كانت تحيطهم من الجانبين (خر ١٤) .

الإيمان القوى ينتصر على كل الشكوك التى تحاربه . و هكذا فإن الكنيسة القوية اجتازت فترات الهرطقات الشديدة خلال القرنين الرابع و الخامس للميلاد . فحرمت الهرطقات و خرجت منها بإيمان سليم .

نرجو من الرب أن يثبتنا فى الإيمان الذى ينبع من أرواح قوية ، تنتصر فى كل حروب الإيمان .



من ثم الروح

(8)
الوداعة

تطويب الوداعة

*ما أجمل الوداعة . إنها من ثمار الروح (غل ٥ : ٢٣) . و قد جعلها الرب فى مقدمة التطويبات ، فقال : " **طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض (مت ٥ : ٥)** "

و قد فسر بعض الآباء عبارة " يرثون الأرض " هنا ، بأن المقصود بها أرض الأحياء ، كما ورد فى المزمور " و أنا أوْمَن أن أعاين خيرات الرب فى أرض الأحياء " (مز ٢٧ : ١٣) . كما أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك أرضنا الحالية . لأن الشخص الوديع يكون غالباً محبوباً من الجميع على هذه الأرض أيضاً . فيكسب الأرض هنا ، و أرض الأحياء هناك .
*و من أهمية الوداعة ، أن الرب دعانا أن نتعامها منه ، فقال :

"تعلموا منى ، لأنى وديع و متواضع القلب " (مت ١١ : ٢٩) .

كان يمكن أن يدعونا لأن نتعلم منه الكرازة و التعليم و الخدمة ، و الحب ، و الرحمة ، و الحكمة فى التصرف . . بل كل فضيلة كمال ، إذ تتشمل فيه كل الكمالات و الفضائل . و لكنه ركز على الوداعة و التواضع ، وقال لمن يتعلمونها " فتجدون راحة لنفوسكم " . ألا يدل هذا على أهمية خاصة للوداعة فى حياة الناس ؟ .

و من أهمية الوداعة ، أن الكنيسة تضعها أمامنا فى بدء صلوات النهار .

فتضع أمامنا فى بدء صلوات باكر ، فى مقدمتها قبل المزامير ، جزءاً من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس ، يقول فيها " أطلب إليكم أنا الأسير فى الرب ، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم إليها : بكل تواضع القلب و الوداعة و طول الأناة محتملين بعضهم بعضاً بالمحبة . . " (أف ٤ : ١ ، ٢) . إذن هى فى مقدمة السلوك الروحى المسيحى . و من النصين السابقين نرى ارتباط الوداعة بالتواضع .

***وقد اهتم الآباء الرسل بالحديث عن الوداعة فى المعاملات :**

فقال القديس بولس الرسول " أيها الأخوة ، إن انسيق إنسان فأخذ فى زله ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لنلا تجرب أنت أيضاً . . " (غل ٦ : ١) و قال القديس يعقوب الرسول " من هو حكيم و عالم بينكم ، فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة . . " (يع ٣ : ١٣) . و شرح كيف أن هذه الوداعة الحكيمة تكون بعيدة عن التحريف و التشويش ، و عن الغيرة المرة و كل أمر ردى .

و القديس بطرس الرسول عندما تحدث عن الزينة ، ذكر " زينة الروح الوديع الذى هو قدام الله كثير الثمن " (١ بط ٣ : ٤) .

و قال القديس بطرس أيضاً " مستعدين فى كل حين ، لإجابة كل من يسأكم عن سر الرجاء الذى فيكم ، بوداعة و خوف " (١ بط ٣ : ١٥) .

***وقد كانت الوداعة هى سمة المسيحيين منذ البدء .**

حتى أنه كما قيل عن تاريخ الكنيسة فى العصر الرسولى فى القرن الأول : إنه حينما كان أحد الوثنيين يقابل زميلاً له ، و يجده وديعاً بشوشاً هادئاً ، يقول له " لعلك قابلت مسيحياً فى الطريق " . و يقصد بذلك إن لقاءه مع أحد المسيحيين فى وداعته ، كان بالتأثير يطبع الوداعة على وجهه .

***و لعل من أهمية الوداعة ، مدم الكتاب للودعاء :**

حيث يقال فى المزامير " يسمع الودعاء فيفرحون " (مز ٣٤ : ٢) . و أيضاً " أما الودعاء فيرثون الأرض ، و يتلذذون فى كثرة السلامة " (مز ٣٧ : ١١) . و قد قيل كذلك " الرب يرفع الودعاء ، و يذل الخطاة إلى الأرض " (مز ١٤٧ : ٦) " يدرّب الودعاء فى الحق ، و يعلم الودعاء طريقه " (مز ٢٥ : ٩) . إن عرفنا كل هذا المديح للوداعة و الودعاء ، فليتنا نتأمل معاً : ما هى الوداعة ؟ ؟ و ما هى صفات الشخص الوديع :

الإنسان الوديع هو الإنسان الطيب المسالم •

و كثير من الناس يستخدمون صفة (الطيب) بدلاً من صفة (الوديع) • و هو بهذا يكون إنساناً هادئاً بعيداً عن العنف •

هو إنسان هادئ في كل شئ

الوديع هادئ في طبعه ، هادئ الأعصاب ، هادئ الألفاظ ، هادئ الملامح ، ، هادئ الحركات • الهدوء يشمل كله داخلياً و خارجياً • فهو هادئ في قلبه و مشاعره ، و هو هادئ في تعامله مع الآخرين • • هو إنسان حليم • كما قيل عن موسى النبي " و كان الرجل موسى حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) •

وهدهوء الوديع يكون في صوته أيضاً

فهو يبعد عن الصوت العالي ، و عن الصوت الحاد • لا يكون شديد الألفاظ و لا شديد اللهجة • و قد قيل عن إلهنا الوديع ، حينما قابل إيليا النبي ، أثناء هرب إيليا من الملكة الظالمة إيزابل : هبت عاصفة شديدة ، و لم يكن الرب في العاصفة • ثم زلزلة ، و لم يكن الرب في الزلزلة • ثم نار ، و لم يكن الرب في النار • ثم إذا " صوت منخفض خفيف " (امل ١٩ : ١١ - ١٣) ، و كان الرب يتكلم • فقال له " مالك ههنا يا إيليا ؟ " هذا الصوت المنخفض الخفيف هو بعض ما يتصف به الوديع *و لذلك قيل عن السيد المسيح في وداعته :

" لا بختصم و لا يصيح • و لا بسمع أحد في الشوارع صوته • قصبة مرضوضة لا يقصف ، و فتيلة

مدخنة لا يطفئ " (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) •

هكذا يكون الوديع ، بعيداً عن الصخب و الضوضاء • لا يصيح و لا يسمع أحد في الشوارع صوته • • حينما يتكلم يتصف كلامه بالهدوء و اللطف ، كأنما قد اختار كل ألفاظه ، بكل دماثة و أدب • لا يجرح بها شعور أحد ، مهما كانت صفته • حتى إن كان أمم " فتيلة مدخنة " لا يطفئها • • ربما تمر عليها ريح فتشعلها • •

يعمل كل ذلك : لا عن ضعف ، و إنما عن لطف •

يذكرني هذا بقصيدة : أنشدتها في الأرشيدياكون حبيب جرجس ، في يوم الأربعين لوفاته سنة ١٩٥١ قلت فيها :

يا قويا ليس في طبعه عنف ..	ووديعاً ليس في ذاته ضعف
يا حكيماً أدب الناس و في ..	زجره حب ، و في صوته عطف
لك أسلوب نزية طاهر ..	و لسان أبيض الألفاظ عف
لم تتل بالذم مخلوقاً و لم ..	تذكر السوء إذا ما حل وصف
إنما بالحب و التشجيع قد ..	تصلح الأعوج ، و الأكدر يصفو

الإنسان الوديع بعيد عن العنف و عن الغضب •

هو إنسان هادئ ، لا يثور و لا يثار • لا يغضب بسرعة و لا ببطء • و لا ينفعل الانفعالات الشديدة ، و لا تغلبه النرفزة (العصبية) ، لأنه باستمرار هادئ ، في أعصابه و في ملامحه ، التي تتصف بالطيبة و البشاشة • إنه لا ينتقم لنفسه • و لا يحل مشاكله بالعنف • بل إن أساء أحد إليه ، يقابل ذلك بالإحتمال و الصبر •

انظروا كيف قيل عن السيد المسيح أثناء محاكمته و قيادته للصلب : كشاة تساق إلى الذبح ، و كنعجة صامئة أمام جازيها . فلم يفتح فاه " (أش ٥٣ : ٧) . و كما قال بولس الرسول عن نفسه و عن زملائه في الخدمة : نشتم فنبارك . نضطهد فنحتمل . نفتري علينا فنعظ " (١ كو ٤ : ١٢ ، ١٣) .

الإنسان الوديع لا يقيم نفسه رقيباً على الناس .

لا يقيم نفسه قاضياً ، و لا يتدخل في أعمال غيره . لا يعطي نفسه سلطة مراقبة الآخرين و الحكم على أعمالهم . لا يدين أحداً ، و لا يحكم على أحد . و إن أضطرته الضرورة إلى الحكم ، لا يقسو في أحكامه .

و قد يغلبه الحياء ، فلا يرفع بصره ليملأ عينيه من وجه إنسان .

لا يفحص ملامح شخص ، ليحكم منها على مشاعره ماذا تكون . أو ما مدى صدقه في كلامه . إن حورب بذلك يقول لنفسه " و أنا مالى . خلينى فى حالى " . هو بطبيعته الوديع لا يميل إلى فحص أعمال الناس .

و إن تدخل في الإصلاص بهدوء ووداعة ورقة .

حسبما قال الرسول " . اصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا " (غل ٦ : ١) .

***وكذا فعل السيد المسيح في وداعته مع المرأة السامرية (يو ٤)**

لم يجرح شعورها بكلمة واحدة ، و لم يبكتها . بل اجتذبها إلى الإعتراف في وداعة و لطف . و وجد فيها شيئاً يمتدحه " حسناً قلت إنه ليس لك زوج . هذا قلت بالصدق " (يو ٤ : ١٧ : ١٨) . و بهذه الوداعة أمكنه أن يجتذبها إلى التوبة ، و إلى الإيمان أنه المسيح ، و تبشير أهل مدينتها بذلك " (يو ٤ : ٢٩) . و في وداعة أيضاً تصرف مع المرأة الخاطئة المضبوطة في ذات الفعل لم يبكتها . بل أنقذها من الذين أرادوا رجمها . فلما أنصرفوا قال لها " أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ . و لا أنا أدينك . اذهبي و لا تخطئى أيضاً " (يو ٨ : ١٠ ، ١١) .

***وبنفس الوداعة عاتب بعد القيامة تلميذه بطرس .**

ذلك الذى أنكره ثلاث مرات ، و حلف و لعن و قال لا أعرف الرجل (مت ٢٦ : ٧٤) . فقال له الرب ثلاث مرات : أتحنى أكثر من هؤلاء ؟ . و معها ثلاث مرات ثبته في عمل الرعاية ، يقوله له : ارع غنمى . ارع خرافى " (يو ٢١ : ١٥ - ١٧)

وبنفس الوداعة ، قابل نيقوديموس ليلاً .

و لم يوبخه على " خوفه من اليهود " . بل أتاه ليلاً حتى لا ينكشف أمره لهم . و بهذه الوداعة التى تنازل بها إلى ضعفه . اقتاده فيما بعد إلى أن يجاهر بالإشتراك ف تكفين المسيح بعد صلبه .

الإنسان الوديع سهل التعامل مع الناس . يستطيع كل شخص أن تأخذ معه و يعطى .

إنه سهل في نقاشه و حواره . لا يحتد و لا يشتد . و لا يستاء من عبارة معينة يقولها محاوره . فيشعر المتناقش معه براحة مهما كان معارضاً له . يعرف أنه سوف لا يغضب عليه ، و سوف لا يحاسبه على ما يقول . و لعل أفضل الأمثلة على ذلك :

حوار الرب - في وداعته - مع إبراهيم ، و مع موسى :

*من فرط وداعته استطاع أبونا إبراهيم أن يناقشه في موضوع حرق سادوم ، ويقول له " أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً ؟ أتهلك البار مع الأثيم ؟ عسى أن يكون في المدينة خمسون باراً . حاشاً لك أن تفعل مثل هذا الأمر : أن تميت البار مع الأثيم ، فيكون البار كالأثيم حاشاً لك " (تك ١٨ : ٢٣ - ٢٥) . و يصبر الرب على هذه العبارات ، و لا يعاتبه . بل يقول له في وداعته " إن وجدت في سادوم خمسين باراً ، فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم ظ . و يستمر معه في الحوار حتى يصل العدد إلى عشرة

*و بنفس الوداعة ، لما عبد الشعب العجل الذهبى و أراد الله أن يفتنهم ، سمح لموسى أن يقول له : أرجع يا رب عن حمو غضبك ، و اندم على الشر بشعبك . . لماذا يقولون أخرجهم بخبث (من أرض مصر) ليفنيهم فى الجبال و يهلكهم ؟ " (خر ٣٢ : ١١ ، ١٢) .
سمح الله لموسى أن يتكلم هكذا . و فى وداعة استجاب لطلبته و لم يفنهم
من منا يحتمل من أحد خدامه أن يقول له : أرجع عن حمو غضبك و اندم على الشر ؟ و لكنه الله الوديع . .

• الإنسان الوديع حليم ، واسع الصدر ، طويل البال •

كما وصف بذلك موسى النبى (عد ١٢ : ٣) . حتى أنه حينما تقولت عليه أخته مريم ووبخها الله و عاتبها ، تشبع فيها موسى و هو فى موقف المساء إليه منها " و صرخ إلى الرب قائلاً " اللهم اشفها " (عد ١٢ : ١٣) و من الأمثلة الجميلة أيضاً أن ما قيل عن سليمان الحكيم أن الرب منحه رحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر (مل ١ : ٤ : ٢٩) .
* * *

• و الوديع إنسان بشوش ، لا يعبس فى وجه أحد •

له ابتسامه حلوة محبة إلى الناس ، و ملامح سمحة مريحة لكل من يتأملها . لا تسمح له طبيعته الهادئة أن يزجر أو يوبخ أو يحتد و يشتد . أو أن يغير صوته فى زجر إنسان .

• و مهما عومل ، لا ينتدمر و لا ينتضر و لا يشكو •

بل غالباً ما يتلمس العذر لغيره ، يبرر فى ذهن مسلكه ، و لا يظن فيه سوءاً ، و كأن شيئاً لم يحدث . فلا يتحدث عن إساءة الناس إليه . و لا يحزن بسبب ذلك فى قلبه . فإن تأثر لذلك أو غضب ، سرعان ما يزول ذلك ، و لا يتحول حزنه أو غضبه إلى حقد . بل سرعان ما يصفو . .

• الوديع يتميز بأنه بطئ الغضب •

كما قال معلمنا الرسول " ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الإستماع ، مبطناً فى التكلم ، مبطناً فى الغضب . لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله " (يع ١ : ١٩) . و ما أكثر ما قيل عن إلهنا الوديع إنه بطئ الغضب " (يون ٤ : ٢) ، و إنه " طويل الروح ، وكثير الرحمة ، (مز ١٠٣ : ٨) .

• كذلك فإن الوديع ، لا يغضب لأى سبب •

إذا غضب الوديع ، فاعرف أنه لابد من أمر خطير دعاه إلى ذلك . و غالباً ما يكون غضبه لأجل الرب ، ليس لأجل نفسه ، أو بسبب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير الودعاء . و إذا انفعل لا يشتغل

• و الوديع إنسان مسالم ، لا ينتقم لنفسه •

لا يقاوم الشر ، كما أمر الرب (مت ٥ : ٣٩) . أى لا يقابل الشر بمثله . و إنما هو كثير الإحتمال . لا يدافع عن نفسه ، بل غالباً ما يدافع عنه غيره موبخين من يسئ إليه بقولهم " ألم تجد سوى هذا الإنسان الطيب لتسى إليه ؟!
الإنسان الوديع لا يؤذى أحداً ، و يحتمل الأذى من المخطئين .

• و له سلام فى داخله ، فلا ينزعج و لا يضطرب •

كل المشاكل الخارجية لا تعكر صفوه الداخلى ، قال ماراسحق : " سهل عليك أن تحرك جبلاً من موضعه . و ليس سهلاً عليك أ ، تثير إنساناً وديعاً " .
و هو لا يصطنع الهدوء . إنما كما خارجه ، هكذا داخله أيضاً . إنه كصخرة أو جندل فى نهر . مهما صدمت الأمواج تلك الصخرة ، تبقى كما هى لا تتزعزع .

• كثيراً ما نرى الودعاء يصبرون و لا يدافعون عن حقوقهم •

و من أمثله ذلك داود النبى ، الذى قيل عنه فى المزمور " اذكر يا رب داود و كل دعتة " (مز ١٣٢ : ١) . لقد مسح صموئيل النبى ملكاً (اصم ١٦ : ١٣) . ثم ذهب إلى الرامة ، و لم يسلمه من الملك شيئاً ! و بقى داود ملكاً بلا مملكة ، و عاد يرعى الغنيمات القليلات فى البرية . ثم اختير ليخدم

الملك شاول الذى كان عليه روح نجس : يعزف له على العود لكى يهدأ . ثم حسده شاول و اضطهده اضطهاداً شديداً . و كان يطارده من برية إلى أخرى لكى يقتله . كل ذلك وداود الوديع صابر و يحتمل . و لم يطالب خلال ذلك بحقوقه كملك ممسوح . و لم يتذمر . و لم يقل يوماً لصموئيل النبى : أين تلك المسحة التى مسحتنى بها؟ و أين الملك الذى أعطيتنى إياه . وبقى على هذه الحال حوالى ١٥ سنة ، حتى مات شاول .

الوديع بعيد عن المجادلة و المحارنة .

كما قال الكتاب " افعلوا كل شئ بلا دممة و لا مجادلة (فى ٢ : ١٤) . يقصد بالمجادلة هنا : (المقابحة فى الكلام) أو المحارنة . ذلك لأن الوديع لا يجاهد لكى يقيم كلمته ، و لكن ينتصر فى المناقشات . إنما يبدى رأيه و يثبتته ، و ليقبله من يشاء متى يشاء ، دون أن يدخل فى صراع جدلى أو فى حرب كلامية . فهذا ضد هدونه .

الوديع لا يوجد فى تفكير خبث و لا دهاء و لا تعقيد .

لا يقول شيئاً ، و فى نيته شئ آخر . بل الذى فى قلبه ، على لسانه . و ما يقوله لسانه ، إنما يعبر عن حقيقة ما فى قلبه . ليس عنده التواء . و لا يدبر خططاً فى الخفاء . هو إنسان واضح ، يتميز بالصراحة . يمكن لمن يتعامل معه أن يطمئن إليه . إنه بسيط لا حويط ، و لا غويط .

إنه يمر على الحياة ، كما يمر النسيم الهادئ على السطح المائى .

لا يحدث فى الأرض عاصفة و لا زوبعة ، و لا يحدث فى البحر أمواجاً و لا دوامات . و لا يحب أن يحيا فى جو فيه زوابع و دوامات . إن كل ذلك لا يتفق مع طبيعه ، و لا مع هدونه ، و لا مع لطفه . و لا مع أسلوبه فى الحياة . لذلك فإن كل من يعاشره ، يلتذ بعشرته . فهو طيب هادئ لا تصطدم بأحد ، و لا يزاحم غيره فى طريق الحياة . و إن صادف مشاكل ، فإنه يمررها ، و لا يدعها تمرره .

هناك نوعان من الودعاء . أحدهما ولد هكذا . و الثانى اكتسب الوداعة بجهد و تدريج ، و يعمل

النعمة فيه .

من النوع الأول ، القديس بولس البسيط . و من النوع الثانى : القديس موسى الأسود ، الذى كان فى بدء حياته قاسياً و عنيفاً ، بل قاتلاً أيضاً . و عندما أتى إلى الدير للتوبة ، حافه الرهبان أولاً . و لكنه بدأ يدرب نفسه ، حتى تحول إلى إنسان وديع طيب ، محب للأخوة ، خدوماً و مضيافاً . و صار مرشداً لكثيرين .

على أنه فى حديثنا عن الوداعة ، لا يفوتنا أن ننسى ما يعطلها .

أحياناً تقف ضدها الرئاسة و السلطة . فما أن يصير البعض رئيساً ، و يمارس الأمر و النهى ، و التحقيق و المعاقبة ، و مراقبة الآخرين و تصريف أمورهم . حتى يفقد و داعته ، و يرى فى الحزم و العزم و الحسم ، ما يبرر له العنف أحياناً ، و بايفقده و داعته و بساطته .

و لكن مغبوط هو الذى يحتفظ بالوداعة فيما يمارس عمل السلطة .

كذلك من يكون عمله هو حفظ النظام . و قدم يجد نفسه فى بعض الأوقات أمام جماعة من المشاغبيين ، أو من الذين تمنعهم كبرياؤهم من الخضوع لآى نظام . كيف يسلك مع هؤلاء ؟ . طبعاً هناك من يحفظ النظام فى ورقة و لطف . و هناك من يستخدم العنف فى حفظه .

هل نتلقى الوداعة مع الشجاعة و الشهامة ؟!

الوداعة هي الطيبة و اللطف و الهدوء ، كما سبق و قلنا . .

و لكن المشكلة هي أن البعض قد يفهم الوداعة فهماً خاطئاً . و كأن الوديع يبقى بلا شخصية و

لا فاعلية ، و كأنه جثة هامدة لا تتحرك !! بل قد يصبح مثل هذا الوديع هزأة يلهو بها الناس !!

و يتحول هذا (الوديع) إلى إنسان خامل ، لا يتدخل في شئ ! كلا ، فهذا فهم خاطئ لوداعة ، لا يتفق مع تعليم الكتاب ، و لا مع سير الآباء و الأنبياء . . حقاً إن الإنسان الوديع هو شخص طيب و هادئ . و لكن هذه هي أنصاف الحقائق .

النصف الآخر من الحقيقة أن الوداعة لا تتعارض مع الشهامة و الشجاعة و النخوة ، و إنما لكل شئ

تحت السموات وقت (جا ٣ : ١) .

نعم ، وللتكلم وقت . . " و المهم أن يعرف الوديع كيف يتصرف ، متى ؟ . . و لقد سنل القديس الأنبا أنطونيوس عن أهم الفضائل : هل هي الصلاة ، الصوم ، الصمت . . إلخ فأجاب عن أهم فضيلة هي الإفراج ، أى الحكمة فى التصرف ، تمييز ما ينبغى أن يفعل .

فالطيبة هي الطبع السائد عند الوديع . و لكن عندما يدعوه الموقف إلى الشهامة أو الشجاعة أو

الشهادة للحق ، فلا يجوز له أن يمتنع عن ذلك بحجة التمسك بالوداعة . .

لأنه لو فعل ذلك ، و امتنع عن التحرك نحو الموقف الشجاع ، لا تكون وداعته حقيقية ، إنما تصير رخاوة فى الطبع ، و عدم فهم للوداعة ، و عدم فهم للروحانية و بصفة عامة . فالروحانية ليست تمسكاً بفضيلة واحدة تلغى معها باقى الفضائل . إنما الروحانية هي كل الفضائل معاً ، متجانسة و متعاونة فى جو من التكامل . . و أماننا مثلنا الأعلى السيد المسيح له المجد :

كان وديعاً و متواضع القلب (مت : ٢٩) " قصبة مرضوضة ي يقصف ، و فتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت

٢٠ : ١٢) . . و مع ذلك

فإنه لما رأى اليهود قد دنسوا الهيكل ، و هم يبيعون فيه و يشترون ، " أخرج جميع الذين كانوا يبيعون و يشترون فى الهيكل ، و قلب موائد الصيارفة كراسى باعة الحمام . و قال لهم : مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، و أنت جعلتموه مغارة لصوف " (مت ٢١ : ١٢ ، ١٣) (يو ٢ : ١٤ - ١٦) . أكان ممكناً للسيد المسيح - باسم الوداعة - أن يتركهم يجعلون بيت الآب بيت تجارة ؟! أم أنه مزج الوداعة بالغيرة المقدسة ، كما فعل " فتذكر تلاميذ أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتنى " (يو ٢ : ١٦ ، ١٧) .

و كما قام المسيح الوديع بتطهير الهيكل ، هكذا وبخ الكتبة و الفريسيين .

حقاً ، لكل أمر تحت السموات وقت . الهدوء وقت ، و للغيرة وقت ، للسكوت وقت ، و للتعليم وقت . و قد كان الكتبة و الفريسيون يضلون الناس بتعليمهم الخاطئ . فكان على المعلم الأعظم أن يكشفهم للناس ، لا يبقئهم جالسين على كرسى موسى فى المجتمع المسيحى الجديد . فقال لهم " و يل لكم أيضاً الكتبة و الفريسيون المراؤون . لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . فلا تدخلون أنتم ، و لا تدعون الدالين يدخلون " (مت ٢٣ : ١٣) . هل كان ممكناً باسم الوداعة أن يتركهم يغلقون أبواب الملكوت ؟!

الوداعة فضيلة عظيمة ، و لكننا نراها هنا ترتبط بالغيرة المقدسة ، و ترتبط بالشهادة للحق ،

و مثالنا هو المسيح نفسه .

و الشهادة للحق أمر هام يريده الله . و لعل أهميته تظهر من أقول الله على لسان أرميا النبى فى العهد القديم " طوفوا فى شوارع اورشليم ، و أنظروا و أعرفوا و فتشوا فى ساحاتها : هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق ، فاصفح عنها " (أر ٥ : ١) . قال الرب لتلاميذ " . . تكونون لى شهوداً " (أع ١ : ٨) .

فهل الوداعة تمنع الشهادة للحق؟! حاشا • أماننا بولس الرسول كمثال :

نرى ذلك في موقفه من القديس بطرس لما سلك في الأكل مع الأمم مسلماً رآه بولس الرسول مسلماً ريانياً • فقال القديس بولس في ذلك " قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً • • و قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت و أنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟! " (غل ٢ : ١١ ، ١٤) • فعل هذا بولس الوديع ، الذى فى توبيخه لأهل كورنثوس ، قال لهم " اطلب إليكم - بوداعة المسيح و حلمه - أنا نفسى بولس ، الذى هو فى الحضرة ذليل بينكم ، و أما فى الغيبة فمتجاسر عليكم " (٢ كو ١٠ : ١) • هذا الوديع الذى يقف أمام أبنائه الروحيين كذليل فى حضرتهم ، معتبراً توبيخه لهم تجاسراً عليهم!! • • هذا نفسه يرى وقت الضرورة أن يوبخ بطرس الرسول الذى هو أقدم منه فى الرسولية و أكبر منه سناً • • ولكنه هنا يمزج الوداعة بالشهادة للحق ففضيلة الوداعة لا يجوز لها أن تعطل الفضائل الأخرى •

أماننا مثل آخر هو ابرام (إبراهيم) أبو الآباء ، فى مزج الوداعة بالشهادة و النخوة •

لاشك أن آباء الآباء إبراهيم كان وديعاً • هذا الذى سجد لبنى حث حينما أخذ منهم أرضاً ليدفن فيها سارة مع أنهم كانوا يبجلونه قائلين " أنت يا سيدى ، رئيس من الله بيننا • فى افضل قبورنا ادفن ميتك " (تك ٢٣ : ٦ ، ٧) • مع ذلك سجد لهم • • ابراهيم الوديع الذى لما أخبروه بسببى لوط ضمن سببى سادوم فى حرب أربعة ملوك ضد خمسة ، يقول الكتاب " فلما سمع ابرام أن أخاه (لوط) قد سبى ، جر غلمانه المتمرنين ، و لدان بيته ثلاثمائة و ثمانية عشر ، و تبعهم إلى دان • • و كسرهم و تبعهم إلى حوبة • • و استرجع كل الأملاك ، و استراجع لوطاً أخاه أيضاً و أملاكه و النساء أيضاً و الشعب " (تك ١٤ : ١٤ - ١٦) • أكانت شهامة إبراهيم و نخوته ، ضد وداعته و طبيته؟! حاشا •

أماننا مثل آخر فى امتزاج الوداعة بالشجاعة و القوة ، و هو الصبى داود ، فى محاربته لجلبات

الجبار •

لاشك أن داود كان وديعاً ، يقول عنه المزمور " اذكر يا رب داود و كل دعتة " (مز ١٣٢ : ١) • • داود راعى الغنم الهادئ صاحب المزمار ، الذى يحسن الضرب على العود (اصم ١٦ : ١٦ ، ٢٢) • • داود الحسن المنظر ، الأشقر مع حلاوة العينين (اصم ١٦ : ١٢) • • داود هذا لما ذهب إلى ميدان الحرب يفتقد سلامة أخوته ، و سمع جلبات الجبار يعير الجيش كله و يتجدها • • و الكل ساكت و خائف • • تملكه الغيرة المقدسة • • و بكل شجاعة و قوة و إيمان ، قال " لا يسقط قلب أحد بسببه " (اصم ١٧ : ٣٢) • • و تطوع أن يذهب ليحاربه و تقدم نحوه ، و قال له " اليوم يحبسك الرب فى يدي • • " (اصم ١٧ : ٤٦) • • هنا الوداعة ممزجة و الشجاعة و الإيمان • • و على الرغم من قوة داود و شجاعته ، لم تفارقه وداعته ، بل قال لشاول الملك فيما بعد لما طارده " وراء من خرج ملك إسرائيل ؟ وراء من أنت مطارد ؟ وراء كلب ميت ! وراء برغوث واحد !! " (اصم ٢٤ : ١٤)

نضرب مثلاً آخر للإنسان الوديع ، الذى يغضب غضبة مقدسة للرب ، و ينتهر ويوبخ • • هو موسى

النبي •

لا يستطيع أحد ينكر وداعة موسى النبي ، هذا الذى قال عنه الكتاب " و كان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) • • فماذا فعل موسى الوديع لما نزل من الجبل و وجد الشعب فى رقص و غناء حول العجل الذهبى الذى صنعوه و عبدوه ؟ يقول الكتاب " فحمى غضب موسى • • و طرح اللوحين (لوى الشريعة) من يديه و كسرهما فى أسفل الجبل • • ثم أخذ العجل الذى صنعوه و أحرقه بالنار ، و طحنه حتى صار ناعماً ، و ذراه على وجه الماء • • " (خر ٣٢ : ١٩ ، ٢٠) • • ووبخ موسى أخاه رئيس الكهنة ، حتى ارتبك أمامه هارون و خاف • • و قال له " لا يحم غضب سيدى • • أنت تعرف الشعب أنه شر • • " و قال فى خوفه و ارتبأكه عن الذهب الذى جمعه من الناس " طرحته فى النار ، فخرج هذا العجل

!! " (خر ٣٢ : ٢٢ ، ٢٤) . و عاقب موسى الشعب . و مات فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف . .
إذن الوداعة لا تمنع الغضب المقدس و لا المعاقبة . .

الوداعة أيضاً لا تمنع قوة الشخصية ، و لا قوة التأثير .

كان السيد المسيح وديعاً . و فى نفس الوقت كان قوى الشخصية ، و كان قوياً فى تأثيره على غيره . و لكننى اريد هنا أن أضرب مثلاً فى مستوى البشر ، و هو القديس بولس الرسول . بولس الذى سرحنا من قبل وداعته . . يقول سفر أعمال الرسل عن القديس بولس ، و هو أسير : " و بينما كان يتكلم عن البر والتعفف و الدينونة العتيدة أن تكون ، ارتعب فيلكس (الوالى) . و أجاب " أما الآن فاذهب و متى حصلت على وقت استدعيك " (أع ٢٤ : ٢٤ ، ٢٥) .
و لما وقف بولس الرسول - و هو أسير أيضاً - أمام أغريباس الملك ، قال له أيضاً بعد أن ترفع أمامه " أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء ؟ أنا أعلم أنك تؤمن " . فقال أغريباس لبولس " بقليل تقتنعنى أن أصير مسيحياً " (أع ٢٦ : ٢٧ ، ٢٨) .
و حينئذ فى قوة و عزه أجابه القديس بولس : كنت أصلى إلى الله ، أنه بقليل و بكثير - ليس أنت فقط - بل أيضاً جميع الذين يسمعونى اليوم ، يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود " (أع ٢٦ : ٢٩) .
. . أترى تتعارض الوداعة مع هذه القوة ؟! كلا ، بلا شك .

ووقت الضرورة ، لا تتنافى الوداعة مع الدفاع عن الحق .

و يتضح هذا الأمر من قصة بولس الرسول مع الأمير كلوديوس ليسياس ، لما أمر أن يفحصوه بضربات ليعلم لأى سبب كان اليهود و يصرخون عليه . يقول الكتاب " فلما مدوه للسياط ، قال بولس لقائد المئة الواقف " أيجوز لكم أن تجلدوا رجلاً رومانياً غير مقضى عليه ؟! وإذ سمع القائد هذا أخبر الأمير ، الذى جاء و استخبر من بولس عن الأمر و حينئذ تنحى عنه الذين كانوا مزعمين أن يجلدوه .
و اختشى الأمير لما علم أنه رومانى (أع ٢٢ : ٢٤ - ٢٩) .
ما كان القديس بولس الرسول يهرب من الجلد . فهو الذى قال : " من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة " (٢ كو ١١ : ٢٤) . و لكنه هنا دافع عن حق معين ، و أظهر للأمير خطأ كان مزمماً أن يقع فيه . و ما كان هذا يتنافى مع وداعة القديس بولس . و بنفس الوضع لما أراد فستوس الوالى أن يسلمه لليهود ليحاكم أمامهم ، و بهذا يقدم منه (اى جميلاً) لهم فقال له بولس فى حزام - مدافعاً عن حقه - " أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر ، حيث ينبغى أن أجاكم . إلى قيصر أنا رافع دعواى " . فأجابه الوالى " إلى قيصر رفعت دعوال . إلى قيصر تذهب " (أع ٢٥ : ٩ - ١٢) .
لم يكن القديس بولس خائفاً من اليهود . و لكنه - فى حكمة - طلب هذا ليذهب إلى رومه - حيث يوجد قيصر - و يبشر هناك . لأن الرب كان قد تراعى له قبل ذلك ، و قال له " ثق يا بولس ، لأنك كما شهدت بما لى فى اورشليم ، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً ، (أع ٢٣ : ١١) . و هكذا دافع عن حقه فى وداعة و حكمة ، و دون أن يخطئ فى شئ بل تكلم كلاماً قانونياً

الوداعة لا تمنع من أن تنبه خاطئاً لكى تنقذه من خطأ أو من خطر .

كما قال يهوذا الرسول غير الأسخريوطى " خلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار " (يه ٢٣) .
. هل إن رأيت صديقاً أو قريباً ، على وشك أن يتزوج زوجاً غير قانونى ، من قرابة ممنوعة ، أو بعد طلاق غير كنسى ، أو بتغيير المذهب و الملة ، أو أنه مزعم أن يتزوج زوجاً مدنياً أو عرفياً . . أو ما شاكل ذلك . . هل تمتنع باسم الوداعة عن تنبيهه إلى أن ما ينوى عمله هو وضع خاطئ ؟! كلا ، بل أن من واجبك أن تنصحه . . و لكن بأسلوب هادئ . تنبهه ، و لكن فى غير كبرياء و فى غير تجريح . أما إن سكت ، فإن سكوتك سيكون هو الوضع الخاطئ . ليست الوداعة أن تعيش كجثة هامدة فى المجتمع . بل تتحرك ، و تكون لك شخصيتك ، إنما فى أسلوب وديع . . و لو بكلمة واحدة ، كقول المعدادن " لا يحل لك " (مت ١٤ : ٤) .
أمامنا أيضاً مثال القديس بولس الرسول " اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً و نهاراً ، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد " (أع ٢٠ : ٣١) . . وداعته لم تمنعه من أن ينذر كل واحد . لكن أسلوبه الوديع ، هو انه كان ينذر بدموع . .

حتى إن اضطر أن يقول كلمة شديدة ...

لقد اعتاد الناس على سماع كلمة شديدة من إنسان وديع . فإن سمعوه يوماً يقول كلمة شديدة ، سيدركون داخل أنفسهم أنه لابد أن سبباً شديداً قد ألجأه إلى هذا . و يكون للكلمة وقعها وتأثيرها في أنفسهم . هل تظنون أن الوديع ، قد أعفى من قول الرب لتلاميذه " . . و تكونون أي شهوداً (أع : ١ : ٨) . كلا ، فلاشك فحينما يلزم الأمر أن يشهد للحق ، لابد أن يفعل ذلك . .

هل إذا أتيجت فرصة له ، لكى ينقذ شخصاً معتمداً عليه ، ألا يفعل ذلك باسم الوداعة ؟!

هل من المعقول أن يقول " و ما شأنى بذلك ؟! " أو يقول " و أنا مالى ، خلينى فى حالى " !! أم فى شهامة ينقذه ، و بأسلوب وديع . كما أنقذ السيد المسيح من الرجم المرأة المضبوطة فى ذات الفعل . و قال للراغبين فى رجمها " من كان منكم بلا خطية ، فليرمها بأول حجر " (يو : ٨ : ٧) و فعل ذلك بوداعة دون أن يعلن خطاياهم . بل " كان يكتب على الأرض " .

لعل البعض يسأل وهنا : هل يمكن للوديع أن يدين أحداً ؟ و هل هناك أمثلة فى الكتاب لذلك ؟

أمامنا السيد المسيح " (الوديع المتواضع القلب) " (مت : ١١ : ٢٩) هذا الذى كان يقول " لم يرسل الآب ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص العالم " (يو : ٣ : ١٧) . و قد قال لليهود " أنتم حسب الجسد تدبنون . أما أنا فلست أدين أحداً " (يو : ٨ : ١٥) . و مع ذلك أكمل بعدها " و أن كنت أنا أدين ، فدينونتى حق " . يسوع المسيح هذا ، الذى قال للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل " و لا أنا أدينك " (يو : ٨ : ١١) . هو فى مناسبات عديدة ، أدان كثيرين . مثلما أدان الكتبة و الفريسيين (مت : ٢٣) . و أدان كهنة اليهود (مت : ٢١ : ٤٣) قائلاً لهم " إن ملكوت الله ينزع منكم ، و يعطى لأمة تصنع أثماره " . و أدان تلميذه بطرس لما أخطأ ، و قال له من جهة الصليب " حاشاك يا رب " (مت : ١٦ : ٢٣) . كذلك فإن القديس بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس " الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقيين خوف " (١ تي : ٥ : ٢٠) . فإن قلت هذا هو المسيح يدين و ذاك رسول و ذاك أسقف ، أقول : .

هناك مواقف يجد فيها الوديع نفسه مضطراً أن يتكلم ، و لا يستطيع أن يصمت . مثلما فعل

أليهو فى قصة أيوب الصديق و أصحابه :

كان هو الرابع من أصحاب أيوب . و قد ظل صامتاً طوال ٢٨ إصحاحاً من النقاش بين أيوب الصديق و أصحابه الثلاثة إلى أن صمت هؤلاء إذ وجدوا أيوب باراً فى عينى نفسه (أى : ٣٢ : ١) و حينئذ يقول الكتاب " فحمى غضب أليهو بن بر خنيل البوزى من عشيرة رام . على أيوب حمى غضبه ، لأنه حسب نفسه أبر من الله . و على أصحابه الثلاثة حمى غضبه ، لأنهم لم يجدوا كلاماً واستندبوا أيوب " (أى : ٣٢ : ٢ ، ٣) . كان أليهو إنساناً وديعاً ، ظل صامتاً مدة طويلة فى نقاش بين أشخاص " أكثر منه أياماً " . و لكنه أخيراً لم يستطيع أن يصمت . ورأى أنه لابد من كلمة حق ينبغى أن تقال . فقال لهم :

" أنا صغير فى الأيام و أنتم شيوخ . لأجل ذلك خفت و خشيت أن أبدى لكم رأى . قلت الأيام تتكلم ، و كثرة السنين تظهر حكمة " . و لما لم يجد فيهم حكمة ، تكلم ووبخ أيوب . و كانت كلمة الله على فمه . و هو الوحيد الذى لم يجادله أيوب (أى : ٣٢ - ٣٧) .

هناك أشخاص من حقهم - بل من واجبهم - أن يدينوا .

و لا تتعاض إدا نتهم مع الوداعة . مثل الوالدين ، و الأب الروحى ، و المدرس بالنسبة . إلى تلاميذ ، و الرئيس بالنسبة إلى مرؤوسيه . إن على الكاهن أدانه الله لأنه لم يحسن تربية أولاده و يدينهم (اصم : ٣) . هوذا الكتاب يقول " لا تخالطوا الزناة " (١ كو : ٦ : ٩) . فهل تقول " أنا لا أدين هؤلاء " ! إن عدم مخالطتهم ، و عدم مخالطة مجموعات أخرى من الخطاة (١ كو : ٦ : ١١) ، تحمل ضمناً إدا نتهم . كذلك بالنسبة إلى المنحرفين فى التعليم الدينى ، يقول الرسول " إن كان أحد يأتىكم و لا يجئ بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، و لا تقولوا له سلام . لأن ن يسلم عليه ، يشترك فى أعماله الشريرة " (٢ يو : ١٠ ، ١١) . فهل باسم الوداعة تقبل هؤلاء ؟!

قال الرسول " خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء " (اتي ٥ : ٢٤) ، أنت لا تدين ، بل أعمالهم تدينهم ، و أنت بكل وداعة تبتعد عنهم .

من غير الروح

(9)

التعفف Chastity

الذى يحيا حسب الروح ، لابد أن يكون التعفف من ثمر حياته الروحية . فما هو هذا التعفف ؟ و كيف يمكن الوصول إليه ؟

التعفف يشمل عفة الجسد ، و عفة الحواس (النظر و السمع و اللمس) ، و عفة اللسان و عفة

الفكر ، و عفة القلب ، و عفة القلم ، و عفة اليد . .

و نود هنا أن نتكلم عن كل بند من هذه البنود . .

عفة اللسان

كل كلمة بطلاة .

هذه التى قال عنها السيد الرب " كل كلمة بطلاة يتكلم بها الناس ، يعطون عنها حساباً فى يوم الدين " (مت ١٢ : ٣٦) . بل اعتبر إنها نجاسة ، فقال " ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان . بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس الإنسان " (مت ١٥ : ١١) . و طبعاً الإنسان العفيف لا يتنجس بأية كلمة . .

اللسان العفيف لا يلفظ كلمة شنيعة ، و لا كلمة تهكم .

الإنسان العفيف يحترم غيره ، فلا يسئ إليه بكلمة جارحة ، و لا بكلام استهزاء أو احتقار أو ازدراء ، فى أى حديث ، أو فى أى عتاب . و أتذكر أننى فى يوم أربعين الأرشيدياكون حبيب جرجس ، قلت عنه :

لك أسلوب نزية طاهر . . . و لسان ابيض الألفاظ عف

لم تنل بالذم مخلوقاً و لم تذكر السوء إذا ما حل وصف

لهذا فإن الذى يستخدم الفاظاً جارحة ، أو ألفاظاً قاسية و كأنها كرجم الطوب ، ليس هو بالإنسان العفيف اللسان . فاللسان العفيف لا يشهر بغيره ، و لا يكشف عورة إنسان فى حديثه ، لأن عفته تمنعه من ذلك . اللسان العفيف ، هو لسان مؤدب و مهذب ، يزن كل كلمة يلفظ بها ، و لا يحتاج إلى مجهود لكى يتكلم كلاماً عفيفاً ، لأنه تعود على ذلك . أو هو هكذا بطبعه

و اللسان العفيف لا يتكلم كلاماً نابياً ، و لا يستخدم ألفاظاً معيبة من الناحية الخلقية .

فلا يلفظ بكلمات جنسية بذينة ، و لا يذكر قصصاً أو فكاهاات جنسية ، و لا يقبل سماعها إن قيلت من غيره . و لا يردد أغاني من نفس النوع بل يخجل من النطق بها ، و لا فيما بينه و بين نفسه فى مسكنه الخاص . إنه لا يتدنى إلى هذا الوضع . اللسان العفيف يمنعه أدبه من استخدام لغة لا تتفق و هذا الأدب الذى تعوده .

و اللسان العفيف قد تعود أيضاً عفة التخاطب . و قد تعود أيضاً على أدب الحوار .

فهو لا يقاطع غيره أثناء الحديث معه ، و لا يوقفه عن الكلام لكى يتكلم هو ، و لا يعلو صوته فى الحوار . و لا يحاول أن يقتل من شأن غيره فى الحوار ، لكى - يثبت صحة رايه هو . و لا يهين غيره أثناء المناقشة . فكل هذه أمور لا يسمح بها أدبه . و اللسان العفيف - فى حوار - يكون

موضوعياً ، لا يتعرض إلى الجوانب الشخصية في من يتحاور معه . و إنما يكون منطقياً فيما يقول .
لا يمكن أن يصف محدثه بالجهل أو عدم الفهم . و لا يكشفه في هذه النواحي . بل يركز على
الموضوع ، موضوع النقاش .

و عفة اللسان ترتبط بها أيضاً عفة القلم .

القلم الذى يراعى كل ما قلناه فيما يكتب ، فلا يشهر بأحد ، و لا يجرح أحداً ، و لا يعتمد إلى الإهانة .
و لا يشيع عن إنسان ما ليس فيه . بل يحرص على أعراض الناس ، و يرى أن سمعتهم أمانة لا
يمكن لقلمه أن يتجاوزها . بل هو يكتب بموضوعية نزيهة .

و هنا نرى عفة النقد و نزاهته .

النقد العادل ، البرئ ، الموضوعى ، الذى يهدف إلى الحق . و يزن الأمور بميزان سليم . يذكر النقاط
البیضاء أولاً قبل غيرها من النقاط التى لا يوافق عليها . و هكذا يعطى كل ذى حق حقه .
و فى نقده لا يدخل فى نوايا الناس و فى دواخلهم التى لا يعرفها إلا الله وحده .

على أننى أقول دائماً إن خطية اللسان هى خطية ثانية .

فاللسان غير العفيف ، تكون عدم عفته خطية ثانية ، تابعة لأخرى قد سبقتها و هى عدم العفة فى
القلب ، التى كانت نتيجتها عدم عفة اللسان . و ذلك طبقاً لقول السيد الرب " الإنسان الصالح من كنز
قلبه الصالح يخرج الصلاح . و الإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر . لأنه " من فضلة
القلب يتكلم اللسان " (لو ٦ : ٤٥) . هذا ينقلنا إلى الحديث عن عفة القلب و عفة الفكر .



هذه العفة الداخلية ، يبني عليها كل تعفف من الخارج . و فى هذا قال الكتاب " فوق كل تحفظ احفظ
قلبك ، لأن منه مخارج الحياة " (أم ٤ : ٢٣)

عفة القلب هى عفة المشاعر و العواطف و الأحاسيس ، و عفة المقاصد و النيات و الرغبات .

و من عفة القلب تصدر عفة الفكر ، و عفة اللسان ، كما تصدر أيضاً عفة الحواس . فكلها خارجة
من مصدر واحد . لذلك إن وجدت فكرك قد بدأ يسير فى مجرى غير عفيف ، أسرع و قامه . وأوقفه
قبل أن يتطور إلى أجهزتك الآخرين . و هكذا يعبر الفكر عن ذاته ، عن طريق اللسان أو الحواس أو
العمل .

عفة الفكر و القلب تتعلق أيضاً بعفة العقل الباطن .

فالعقل الباطن يعمل عن طريق المخزون فيه من أفكار ، و من رغبات و صور و مشاعر . . فإن كان
المخزون فى العقل الباطن غير عفيف ، حينئذ يظهر ذلك فى أحلام غير عفيفة ، و فى ظنون و أفكار
من نفس النوع . مثلاً قيل فى سفر التكوين عن الشجر الذى ينتج بذراً كجنسه (تك ١ : ١١ ، ١٢)
، فليحرص كل إنسان إذن على عفة قلبه و فكره ، بما يدخل فيهما من روحيات ، و من محبة للخير و
للعفة ، حتى يصبحان مصدراً لكل من عفة اللسان ، و عفة الحواس و ن و عفة الجسد



عفة الجسد هى بعده عن كل شهوة جسدية رديئة ، أو كل شهوة تتعلق بمحبة هذا العالم

المادى .

و قد تعرض القديس يوحنا الرسول لهذا الأمر ، فقال فى رسالته الأولى " لا تحبوا العالم و لا الأشياء التى فى العالم . . لأن كل ما فى العالم : شهوة الجسد ، و شهوة العين ، تعظم المعيشة . . " (١ يوحنا ٢ : ١٥ ، ١٦) .

و شهوة الجسد تشمل الزنى بكل أنواعه . كما تشمل محبة الراحة و البطنة

و تشمل أنواعاً كثيرة مما يشتهيها الجسد ، و لكن أخطرها الزنى . و الإنسان العفيف يبذل كل جهده للبعد عن شهوات الجسد . . فهو لا يشتهى ، و لا يثير الشهوة فى غيره . . و إن حارب بإغراء ضد عفة الجسد ، يحارب ذلك بكل قوته . . يحارب عدم العفة بقلب طاهر ، و بإرادة قوية ، و لا يسلم سلاحه ابداً . ما أعظم قول بولس الرسول للعبرانيين موبخاً " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مقاومين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) . . مقاومة صادقة ، مهما كانت الظروف الخارجية ضاغطة . .

القلب العفيف هو العامل الأساسى فى عفة الجسد .

و مثالنا هو يوسف الصديق ، الذى كانت الخطية تضغط عليه من الخارج ، و تلح عليه كل يوم ، و من سيدته التى كان لها سلطان عليه ، و تستطيع أن تؤذيه إذا رفض . و لكنه احتفظ بعفة جسده ، بسبب عفة قلبه ، و بسبب أنه كان يضع الله أمامه فى كل ما يفعل . و بسبب مبادئه الروحية التى كانت تؤمن بالعفة . فقال : كيف افعل هذا الشر العظيم ، و أخطئ إلى الله ؟! " (تك ٣٩ : ٩ ، ١٠) .

إذن العفة لا تتوقف على الوسط الخارجى ، إنما على حالة القلب الداخلية و مدى عفة القلب .

لقد نجح يوسف الصديق ، و لم يكن قد ارتبط بعد بزواج يحصنه من الخطية ، و لم ينجح داود الملك الذى كانت له سبع زوجات وقتما حاربته إغراء الخطية . و السبب كان هو حالة القلب الداخلية : هل هو قلب عفيف يتسامى و يعلو فوق الإغراء ، مثل قلب يوسف العفيف . أم هو قلب ضعيف من الداخل . تأتيه حروب الخطية فى وقت يكون فيه محباً لها و غير متمسك بالعفة ، كما حدث مع داود .

عفة الجسد أيضاً ترتبط بالحشمة و عفة الملابس .

و عفة الملابس بالنسبة إلى المرأة تتعلق أحياناً بكشف جسدها بطريقة غير عفيفة : إما بملابس فيها لون من العرى الجسدى يكشف أجزاء من جسدها ، أو بملابس ضاغطة ، أو بملابس شفافة . و كلها تؤدى إلى نفس النتيجة ، تكون معثرة .

و قد تبرر المرأة هذا بأنه إظهار لأنوثتها . و فى الواقع إنه إظهار لعدم عفتها .

مهما حاولت أن تدعى بأن هذه هى الموضع السائدة . لأنه لا يصح أن تسود الموضة على الروح . أو تكون وصايا مسمى الموضة أهم من وصايا الله . . و المرأة المحتشمة لا تقبل مطلقاً أى زى جديد يتنافى مع الحشمة ، أو يسبب عثرة لأحد . و إن فعلت هذا فى أى مكان ، لا يجوز مطلقاً أن تدخل إلى الكنيسة بزى غير محتشم ، و بخاصة فى وقت تناول من الأسرار المقدسة .

و قد تتنافى مع العفة أيضاً ألوان من الزينة و المساحيق .

و معروف ما قاله القديس بطرس الرسول عن الزينة الجسدية . و قد فضل عليها " زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثير الثمن " (١ بط ٣ : ٤) نحن لا ننكر على المرأة أن تتحمل . و لكن يسمح لها بذلك فى حدود التجميل غير المعثر . .

و قد ينتفخ مع التعفف أيضاً أسلوب المشى و الحركة و نوعية الصوت •

فالمفروض أن تشمل العفة كل أسلوب حياتها ، و أن تبعد عن كل تصرف يشير مشاعر خاطئة بالنسبة إلى غيرها • • لعل المرأة تقول إن الرجل الذى يثار هو إنسان ضعيف ليس عفيفاً كما ينبغى • • و ربما يكون هذا صحيحاً • و لكن عليها أن تراعى ضعف الضعفاء ، فلا تعثرهم • و قد قال القديس بولس الرسول " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء ، و لا نرضى أنفسنا " (رو ١٥ : ١)

نحن مطالبون ليس فقط بعفة أنفسنا • وإنما بالعمل على عفة غيرنا ، فلا يفقدون عفتهم

بسببنا •

و قد جاء الحديث عن العثرة • و قال السيد الرب فى ذلك " ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة " (مت ١٨ : ٧) " خير له لو طوق عنقاؤه بجحر رحى و طرح فى البحر ، من أن بعثر أحد هؤلاء الصغار " (لو ١٧ : ١ ، ٢)

فعلى المرأة - كما على الرجل أيضاً - مراعاة عفة العنصر الآخر ، فلا يكون سبباً لمحاربته فى عفته
المرأة بجمالها و أنوثتها • و الرجل بإغرائه و عواطفه و وعوده • • و كذلك بالصدقة و الألفة ، التى تبدأ أولاً بريئة ، أو تبدو بريئة ، ثم تنتهى إلى عكس ما بدأت به • •

و عفة الجسد ينبغى أن تحفظ حتى فى غرفة الإنسان الخاصة •

سواء فى طريق جلوس الإنسان أو طريقة نومه ، أو فى حشمته بصفة عامة • فالذى يحتفظ بحشمته فى غرفته الخاصة ، سوف يحتفظ بنفس الأسلوب العفيف حينما يغادر غرفته و يختلط بالناس • أما الذى يسلك بغير عفة مسكنه ، لا شك أن عدم العفة سوف تتعبه أينما ذهب • • التعود لازم ، و يبدأ مع الذات •

حتى فى العلاقات الزوجية ، ينبغى أن تحفظ العفة •

و فى هذا يقول القديس بولس " ليكن الزواج مكرماً عند كل أحد ، و المضجع غير دنس • أما العاهرون و الزناة ، فسيدينهم الله " (عب ١٣ : ٤) • إن الحلال مقبول • لكن لا يصل إلى التسبب ، الذى قد يتنافى أحياناً مع العفة • و هذا ما قصده الرسول بأن يكون المضجع غير دنس • عفة الجسد تقودنا إلى الحديث عن عفة الحواس • و نغنى بها بوجه خاص عفة النظر و السمع و اللمس •



عفة النظر تكون فى البعد عن كل نظرة شهوانية •

و لعل هذا ما قصده القديس يوحنا بعبارة " شهوة العين " (١ يو ٢ : ١٦) • و هذا أيضاً ما قصده أيوب الصديق حينما قال " عهداً قطعت لعينى • فكيف اتطلع فى عذراء ؟! " (أى ٣١ : ١) • بل هذا ما قاله الرب " إن كل من ينظر إلى امرأة لبشتيها ، فقد زنى بها فى قلبه "

إذن عدم عفة القلب تؤدى إلى عدم عفة النظر •

الإنسان العفيف تكون نظرته إلى أية امرأة ، هى نظرة عفيفة لا خطيئة فيها • و لكن يبدأ عدم العفة حينما يتلوث القلب من الداخل •

هذا هو الذى حديث مع امرأة فوطيفار • يقول الكتاب إنها " رفعت عينيها إلى يوسف ، (تك ٣٩ : ٧) • إنها بلا شك كانت تراه كل يوم • و لكنها فى ذلك الوقت بدأت تنظر عليه بطريقة أخرى ، بقلب دخلته الشهوة •

حدث مثل ذلك و بمعنى آخر ، مع أننا حواء بالنسبة إلى شجرة معرفة الخير و الشر . كانت الشجرة في وسط الجنة (تك ٣ : ٣) و لا شك أن حواء كانت تمر عليها كل يوم و تراها ، و لكن بقلب عفيف لا يشتهيها . إذن فمتى بدأت المشكلة ؟ بدأت حينما تغير قلب حواء من الداخل بإغراء الحية التي قالت لها " لن تموتاً . تصيران مثل الله " تنفتح أعينكما " (تك ٣ : ٤ ، ٥) . حينئذ " رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، و أنها بهجة للعيون ، و أن الشجرة شهية للنظر " (تك ٣ : ٦) . من أين أتت هذه الشهوة نحو الشجرة ؟ أتت من تغير القلب من الداخل .

الإنسان العفيف ينظر بغير شهوة ، بل في استنحيا .

ليس في الأمور الجنسية وحدها ، بل أيضاً من جهة نظرة الإحترام نحو هو أكبر منه . فلا يجرو أن الابن ينظر إلى أبيه بغير حشمة ، بل في توقير شديد . و قد لا يجرو أن يرفع عينيه إليه ، أو أن ينظر نظرة تحد . قيل عن القديس الأنبا بيجيمي أنه عاش ١٨ سنة مع شيوخ قديسين في الدير ، لم يجرو خلال ذلك أن يرفع بصره ليملاً عينيه من واحد منهم .

هناك نظرات أخرى غير متعففة (من نوع آخر)

مثل النظرات المتجسدة الفاحصة ، التي تريد أن تسير غور من أمامها و تفحص دواخله و تعرف أسرارها ، أو تؤثر عليه .

عفة الأذن

الأذن العفيفة هي التي لا تتصنت على غيرها .

أما التي تتسمع لتعرف اسراراً ليس من حقها أن تعرفها ، فهي إذن ليست عفيفة . إنها تسرق أخباراً ، تدخل إلى خصوصيات الناس بغير حق . و لا يمكن أن يفعل هذا إنسان مهذب . كذلك فإن الأذن التي تلتذت بسماع أحاديث شهوانية . أو بسماع فكاهاات أو أغان جنسية ، هي أذن غير عفيفة . بل تصرفها هذا نسيمه (زنى الأذان) أيضاً من الأذان غير العفيفة ، الأذن التي تلتذت و تستمتع بسماع مذمة الغير ، أو أخبار عن سقوط أو فشل من تعاديه . فهذا نوع من الشماته ، و يتفق مع العفة . و قد قال الكتاب في ذلك لا تفرح بسقوط عدوك ، و لا يبتهج قلبك إذا عثر . لئلا يرى الرب ويسوء ذلك في عينيه ، (أم ٢٤ : ١٧ ، ١٨) . إن هذا بلا شك لون من الشماته . و الأذن التي تلتذ لها الشماته ، ليست اذنأ عفيفة .

عفة اليد

اليد العفيفة لا تمتد إلى ما لغيرها ، لا بسرقة أو نشل ، و لا بأى لون من اغتصاب حقوق الغير . كذلك لا تعتبر يدأ عفيفة التي تفرح بربح غير جازز . قال عنه الكتاب " طامع بالربح القبيح " (١ تي ٣ : ٣) . و يدخل في هذا الأمر : الربا الذى يفرضه الرابى على الفقراء المحتاجين . احتكار بعض التجار سلأ معينة في السوق ، أو فرض أسعار عالية مجحفة بمن يشتري . فتمتلى أيدى كل هؤلاء من مال أخذوه من تعب الناس و احتياجهم . و كما قلت عن ذلك في إحدى القصائد :
خطفوه من فم الجوعان بل ... من رضيع لم يوفوه فطاما

و من عفة اليد أيضاً العفة في الطلب .

حيث يستحق الإنسان العفيف أن يمد يده . و إذا أعطى قد يستحق ايضاً أن يأخذ . بينما الإنسان غير العفيف قد يطالب ما لا يستحقه ، و كأنه حق قد سلبه منه من يعطى . و حينما يعطى قد يستقل ما يأخذه ، فيرجعه أو يطلب بأكثر . من أمثلة هؤلاء من يطالب الله بحقوق !!
وكالابن الضال الذى طلب من أبيه نصيبه فى الميراث (لو ١٥) .

الفهرست

صفحة
٥

مقدمة
من ثمار الروح :

٧

١-المحبة

١٣

٢-الفرح

٢١

٣-السلام

٢٩

و فى السلام الداخلى الإطمئنان و عدم الخوف

٣٥

٤-طول الأناة

٣٥

أ-عند الله

٤١

ب-عند البشر

٤٧

٥-اللطف

٥٥

٦-الصلاح

٦٣

٧-الإيمان

٧١

٨-الوداعة

٨٠

هل تتنافى الوداعة من الشجاعة و الشهامة

٨٧

٩-التعفف